

الدكتور صلاح الدين المنجد

# المجتمع الإسلامي

في ظل العدالة

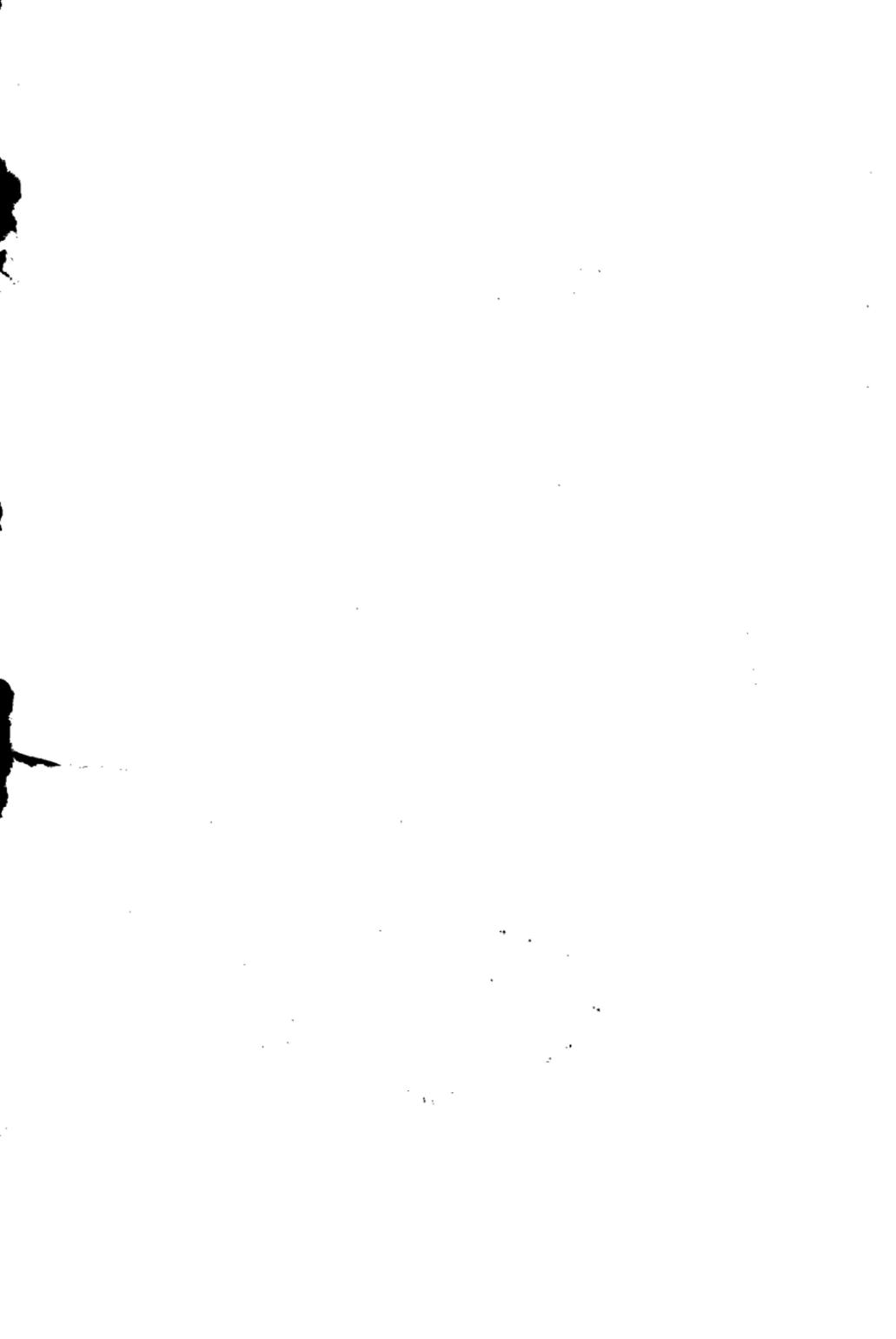
دار الكتاب الجديد  
بيروت • لبنان

الطبعة الثالثة - كانون الاول ١٩٧٦

جميع الحقوق محفوظة

لدار الكتاب الجديد

المجتمع الإسلامي  
في ظل العدالة



# مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد النبي العظيم ، الذي وحد العرب وجعلهم بالإسلام خير أمة أخرجت للناس .

وبعد فإن الإسلام يمرّ بأزمة عنيفة مردّها الى ثلاثة أمور :

الأول : تحديات الحضارة الغربية وما أدخلته الى البلاد العربية والإسلامية من سنن وقواعد جديدة ، منها الضارّ أو النافع ، اقتبسناها تقليداً أو غباءً أو رغبة في التقدم أو إخفاءً لعيوب التخلف والتأخر .

الثاني : انتشار المذاهب اليسارية الماركسية في هذه البلاد ، بشكل سافر أو مقنّع ، وتحت أسماء مختلفة ، من اشتراكية وقومية وتقدمية ... ، ومحاولتها هدم الإسلام ونسفه ، ب عوامل داخلية وخارجية .

الثالث : حُسنُبان الكثير من الشبان أن الإسلام هو صلاة وصيام ، فلا يحلّ مشكلات العصر في السياسة والاقتصاد ، وليس هو بالنظام الكامل كال الشيوعية وغيرها ، قبل أن يُحاولوا فهم الإسلام ومعرفة نظامه .

وليس عندي من شك أن سبب الأمور الثلاثة هو جهل الكثيرين من الناس ، وجهل هؤلاء الشباب خاصة ، بتراتهم الحضاري وتقاليدهم التاريخية ، وقد

خالطتُ الذين يتتبعون المذاهب اليسارية وحادثتهم ، وقرأتُ ما يكتبون ويؤلفون ، فوجدتُ أن انحرافهم راجعٌ قبل كل شيء إلى فقدانهم المعرفة الصحيحة العميقة بالقيم الحضارية الإسلامية ، وجهلهم بالحلول التي قدمها الإسلام لمشكلات الإنسانية في الدين والحكم والاقتصاد والاجتماع ، فلم يستطيعوا لذلك أن يقايسوا بين المباديء اليسارية ، ومبادئ الإسلام ، ليختاروا أفضلها . يُضاف الى ذلك عقدٌ نفسيّة متنوعة الأسباب لم يستطيعوا التغلب عليها ، ولا قهرها .

والتجربةُ التاريخيةُ الإسلامية تدلّ على أنه عندما ينتشر مثل هذا الجهل ، وينشأ فراغٌ روحي وثقافي في نفوس الناس ، تنشط المذاهب الهدامة لهدم الإسلام وتراثه .

فقد انتشرت المذاهب الباطنية الهدامة في عصر ضعفت فيه الخلافة العباسية . وضعف أمر الدين والعناية بقواعده ، حتى ابتعد الكثيرون عنه ، وأصبح رسوماً ظاهرة ومعاني مجهولة . فيسرّ ذلك لأصحاب الفرق الباطنية أن يقوموا بدعوتهم ، باسم الإسلام نفسه ، كالقرامطة الشيوعيين الذين كانوا يدعون الى العدالة الاجتماعية في الظاهر ، ويريدون هدم الإسلام ، في الباطن .

وقد ذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ، أن أحد كبار العلماء في زمانه ، وهو ابو الحسن عليّ بن محمد بن بكر الإسفذاني ، وكان من كبار فقهاء الحنفية ، ومن كبار أصحاب الحديث ، غزير الرواية ، واعظاً مجيداً ، وله كتب كثيرة ، حجج أيام انتشرت القرامطة في الجزيرة العربية . فأسروه ، ثم أطلقوه . ففسى في البوادي . فكان إذا لقي فيها أهلها ذكر رسول الله . فلم يعرفوه . وقالوا : ما سمعنا به !

قال القاضي عبد الجبار : وكان هو أعلم الناس ، أو من أعلمهم بنبوة رسول الله وأخلاقه وشريعته ، وقومته ( أي قوم رسول الله ) من العرب ، وجيرانه في البلد ، لا يعلمون شيئاً من ذلك .

فهذا الجهل دفع القرامطة ، على رأسهم يحيى الطحّاني ، وأبو سعيد الجنائبي ،  
وولده ، الى المحبيء الى جزيرة العرب ، فزعموا أنهم شيعة ، وقتلوا المسلمين ،  
وَمَنْ يُقيم شريعة الإسلام ، وسبوا ، وغزوا مكة وغيرها ، وأحرقوا  
المصاحف ... (١) ،

فما أشبه حالنا اليوم بحال العرب والإسلام أيام القاضي عبد الجبار ،  
والقرامطة .

فإننا لنلقى في عصرنا من الشباب مَنْ إذا حدثته عن الإسلام قال : لا أعرف  
منه شيئاً ، ومن الشيوخ مَنْ إذا حدثته عن محاسن النظام الإسلامي تعجّب  
وقال : ما سمعنا بهذا ! لذلك انفتحت قلوب طائفة من الشباب الى المذاهب  
اليسارية النابعة من الشيوعية اللينينية الماركسية ، وخيّل اليهم أنها تنظم الحياة  
ويسعد بها الإنسان .

والسبب في ذلك فقدان التوعية - توعية الشباب المهديين بالغزو الفكري  
اليساري - معرفة « قيم الإسلام الحضارية » .

والتقصير في هذه التوعية يعود الى علماء المسلمين وحكّامهم .

أما علماء المسلمين فثلاث فئات :

فئة جاهلة لا تدري من الإسلام ونظامه سوى القشور ، اتخذت الدين وسيلة  
للرزق : من إمامة أو خطابة أو وعظ ، عقولها جامدة ، تُكفّر وتُنقّر .

وفئة ثانية منافقة تريد تفسير الدين تفسيراً ماركسياً ، فتزعم أن الدين  
« اشتراكية » . تفعل ذلك نفاقاً للحكّام الاشتراكيين الثوريين وتقرباً اليهم .  
فيفسد علماء هذه الفئة الدين ، ويضللّ الحكّام الناس .

وفئة ثالثة مؤمنة مخلصه ، تحاول توضيح النظام الإسلامي لكنها لا تخاطب

---

(١) إثبات النبوات ، ج ٢ ص ٥٢٢ .

الناس على قدر عقولهم ، ولا تكتب بروح العصر ونهج العلم ، بل بروح العصور السالفة . ومن هذه الفئة مَنْ يعلو فلا يفهم ، وَمَنْ يتمحك الأدلة ويتفلسف فيسُمج . أو من يُسِف بعاميته الفكرية . وقد حُرمت هذه الفئة ، إلا القليلين منها ، الثقافة الغريبة ، فما عرفت مذاهب الغرب في السياسة والاقتصاد من ينابئها لتتقدمها . ففولقاتُ هذه الفئة لا تغري كثيراً الشبان الجُدُد ، ولا المثقفين المسلمين الذين شدوا ثقافة الغرب .

أما حُكَّام العرب ففتنان :

فئة تُسهل الدين باسم التقدّم ، ولا تعمل على نشره أو إفهامه ، أو اتخاذه ينبوعاً للتشريع وسبيلاً الى التقدّم الصحيح . أو تستعيب عنه بمذاهب غريبة حديثة .

وفئة مؤمنة مخلصّة تحاول جهداً تطبيق النظام الإسلامي وإحياءه . وقد قامت المملكة العربية السعودية على الدعوة الى الإسلام الصحيح والتعريف به . واتخذت القرآن الكريم دستوراً لها . والمرجوّ أن تثمر جهودها ، وأن تعيد للجزيرة العربية المؤمنة سيرتها الأولى فتكون مبعث الدين ومناط اليقين .

وقد طلب اليّنا كثيرون من العلماء الأصدقاء ، في البلاد العربية والإسلامية ، أثناء زيارتنا العديدة لها ، أن نضع كتاباً موجزاً مبسّطاً . نوضح فيه المبادئ العامة التي قام عليها المجتمع الإسلامي في ظل العدالة . على نحو ما يعرض علماء الغرب لمذاهبهم . ليكون سهل المنال قريباً من الأفهام . فبادرنا الى ذلك ، لعلنا أن العرب أحوج ما يكونون اليوم الى مثل هذا الكتاب .

فالعرب لن ينطلقوا الى الامام ، ويتحرّروا من عبادة الأشخاص ، وينفضوا عنهم ذلّ النكبة والنكسة ، والتأخر والتخلف ، ولن يعودوا الى

عزتهم ويستعيدوا قوتهم ، ويقضوا على المذاهب التي تسعى لوضعهم في الأغلال  
وهدم دينهم ، تقول لن يُتاح لهم كل هذا اذا لم يعرفوا تراثهم ، ويفهموا شريعتهم  
ونظامهم الذي يُعدّم للحياة ، ويستعيدوا شخصيتهم وخصائصهم . فالخطوة  
الأولى تبدأ من هنا .

إن هدفنا ، بهذا الكتاب ، هو توعية العالم العربي والإسلامي . فلا بدّ من  
هذه التوعية لإعادة تحقيق أفكار الإسلام وقيمه . ولا يتأتّى ذلك إلا بمعرفة  
تلك القيم والأفكار قبل كل شيء . ثم لا بدّ من إعداد المسلمين جميعاً نفسانياً ،  
وسكب الاحساس الدائم بالخطر الشيوعي في أعصابهم ، وزرع ذرات متفجرة  
من المقاومة في نفوسهم . فالاحساس الدائم بالخطر ، والمعرفة العميقة بالقيم ،  
هما سبيل الانتقاذ والحياة .

ولعل الذين يجهلون « نظام الإسلام » يجدون في كتابنا هذا الطريق السهل  
الى ادراك « القيم الحضارية والإنسانية في الإسلام » . هذه القيم التي طبقت خلال  
عصور طويلة وأثبتت صلاحها ، ولم يستطع أيّ مذهب آخر ، حتى أيامنا ، أن  
يُساميها في الصلاح الكمال .

صلاح الدين المنجد

بيروت

ربيع الأول ١٣٨٩

حزيران ١٩٦٩

## تمهيد

لكي ندرك حقيقة النظام الاسلامي لا بد لنا من أن نقدم صورة موجزة لما كان عليه العرب ، قبل مجيء الاسلام .

فقد ساد الظلم طوال العصر الجاهلي ، فذاق العرب من ويلاته الكثير ، كان الأمر فيه للقوة وحدها : فالقوي في السلاح أو المال أو النسب كان هو السيد المطاع . وحيث تكون القوة ، دون رادع خلقي ، يولد الظلم ويترعع . فكان القوي يظلم الضعيف ، والغني يستبد بالفقير . وتنوعت ألوان الظلم ، حتى صار هدفا لمن أراد أن لا يُستضعف أو يُهان . وقد عبّر عن هذا الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى فقال :

وَمَنْ لَا يَدُدُّ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ  
يُهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

قال الأصمعي في تفسير هذا البيت : «أي من كف عن الناس (أذاه) ، ركبوه وظلموه»<sup>(١)</sup> .

(١) شرح ديوان زهير ، ص ٣٠ .

وبيتُ زهيرُ تصوير صادق لحالة الجاهلية في الظلم ، ودعوةٌ صريحةٌ إليه . ونجد إشارةً أخرى الى ظلم الجاهلية في حديث جعفر ابن أبي طالب للنجاشي عندما هاجر المسلمون الى الحبشة . فقد وصف له ما كانوا فيه فقال : « كنا قَوْمًا أهل جاهليّة . . . تأتي الفواحش ، وتقطعُ الأرحامَ ، ونسيءُ الجوارَ ، ويأكلُ القويُّ منا الضعيفَ . . . »<sup>(١)</sup> . فكلُّ واحدةٍ من هذه الفقرات التي ذكرها جعفر تدلُّ على لونٍ من ألوانِ ظلم الجاهلية . وما كانت هجرةُ المسلمين الى الحبشة ، ثم هجرةُ الرسولِ الى المدينة إلا بسبب ظلم الجاهلية . قال جعفرُ في تنمة حديثه للنجاشي : « فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيّقوا علينا . . . خرجنا الى بلدك »<sup>(٢)</sup>

ووصفهم آخر فقال : « كانوا يسفكون الدماءِ ، ويُخيفون الطُّرقَ ، وينتهبون الأموال ، ويتعاطون كبار الآثام »<sup>(٣)</sup> .

وهذا يدلُّ على أن الظلم كان سائداً ، داخل الجزيرة العربية . والنصوص الدالّة على ألوان الظلم كثيرة وافرة .

ولم تكن البلاد المحيطةُ بالجزيرة ، بدياناتها وحضاراتها ، منزّهةً عن الظلم . فقد كان الظلم سائداً في أنظمة الدولة البيزنطية في

---

(١) و(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، الجزء الأول .

(٣) العاصري ، مناقب الاسلام ص ١٧٣ .

الشام ، وأنظمة الأكايرة في العراق . ضرائب فادحة ، وعبودية  
جائرة ، واضطهاد دائم ، واضطراب قائم<sup>(١)</sup> ، حتى إن الكثيرين من  
أهل البلدان التي فتحها المسلمون فيما بعد رحّبوا بالعرب أو ارتضوا  
الاسلامَ ديناً لأن نظام الاسلام كان أرحم بهم وأكثر رأفة من أنظمة  
فارس والروم . وقد أجمع المؤرخون المسلمون والأجانب على ذلك<sup>(٢)</sup> .

---

(١) انظر مثلاً حالة المجتمع في ظل الأكايرة في : كريستنن ، ايران في عهد الساسانيين ،  
ترجمة الدكتور يحيى الحشّاب .

(٢) انظر مثلاً ما كتبه فيليب حتي ، في تاريخ العرب المطول ، الجزء الاول ، ص ١٩٤ .

# المجتمع الإسلامي ودعائه

وجاء الإسلام ، فكان إصلاحاً اجتماعياً وأخلاقياً ، عميق الأثر .  
فقد سنّ نظاماً جديداً وجهه للناس جميعاً ليبني به مجتمعاً إنسانياً  
جديداً ، لا عربياً فقط ، يختلف كل الاختلاف عن المجتمع الجاهلي  
الوثني ، وعن المجتمع في ظلّ الديانات الأخرى . لقد أبطل بنظامه  
كل ما كان في تلك المجتمعات من تقائص ومساوئ ، ودعا  
الى الحياة .

فلننظر الآن ما هي الأسس التي قام عليها هذا المجتمع الاسلامي  
الانساني :

## ١ - هذا المجتمع يُوحِّدُ الإيمانُ بالله

فالمجتمع الاسلامي يتألف من « مؤمنين ومؤمنات » . والمؤمن هو  
مَنْ آمن بالله وحده ، ربّاً وخالقاً . فلا شيء أحطّ للعقل من أن يعنى  
عن وجود خالق للانسان وللكون ، وكل شيء يدل على وجوده .  
وكذلك لا شيء أحطّ للعقل من أن تعبد شيئاً لا يُبدع ولا يضرُّ

ولا ينفع . أو شيئاً آدمياً مثلك ، أو شيئاً أقلّ شأناً منك ، كحيوان أو نارٍ ، أو صنم ، أو صورة . فلا بدّ أن تعبد الهأماً ليس كمثلته شيء لكي يكون جديراً بالعبادة .

فالإيمانُ بالله الواحد هو أول دعائم الوحدة الروحية في المجتمع الإسلامي ، فانه اذا خالط القلوب ، قوي المجتمع ، فلا ينقضه شيء . وهذا الإيمان يستنير بالقرآن ، وبما أمر به الرسول . فهما الدليل الى خير المجتمع . « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم »<sup>(١)</sup> « كتابٌ أنزلناه لنُخرج الناسَ من الظلمات الى النور بإذن ربهم »<sup>(٢)</sup> .

وهذا الإيمان يعتمد ، قبل كل شيء ، على الوجدان والقناعة ، ولا يُفرض بالقوة ولا بالسلطان .

وبموجب هذا الإيمان يقوم المجتمع الإسلامي بما فرضه الله عليه من عبادات ، من صلاة وزكاة وحج ، ويتعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعن الخبائث التي تضر النفس والمجتمع من خمر ، وزنا ، ورياً ، ومطاعم خبيثة .

ويقوم بكل ما شرّعه الاسلام لحياة المجتمع الإسلامي وهناء أفراده . ولتبقى كلمة الله هي العليا ، وإنما كلمته هي « دينه القيم » الذي جاء به الرسول لينظّم الناس ، ويهديهم سواء السبيل .

(٢) سورة ابراهيم ، الآية ٢

(١) سورة الإسراء ، الآية ٩

## ٢ - هذا المجتمع قائمٌ على العدل واليسر في كل شيء

لقد قامت شرعة الاسلام كلها على العدل ومحاربة الظلم . فنجد نجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث تلحّ على منع الظلم أوّلاً والتحذير منه . فالله تعالى يقول : « والله لا يحبُّ الظالمين »<sup>(١)</sup> ، « وأعدّنا للظالمين عذاباً أليماً »<sup>(٢)</sup> « وسيعلمُ الذين ظلموا أيُّ منقلبٍ ينقلبون »<sup>(٣)</sup> . وجاء في الحديث القدسيّ « يا عبادي ! إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي ، وجعلته محرّماً بينكم فلا تظالموا »<sup>(٤)</sup> ، وقال رسول الله : « الظلمُ ظلمات يوم القيامة »<sup>(٥)</sup> .

وكذلك نجد الآيات والأحاديث تلحّ على العدل وتدعو اليه . وقد عبّر القرآن للأمر بالعدل بكلمتين هما : « العدل » و « القسط » ، وكلتاها بمعنى واحد ، وهو الانصاف والاعتدال .

والأمر العظيم الذي أتى به الاسلام أنه جعل من صفات الله عزّ وجلّ الذي يعبده الناس « العدل » . ولا نجد هذه الصفة لله في مفهوم اليهود ولا النصراني ، فهو ، جلّ وعزّ ، في المفهوم الاسلامي العادلُ المطلق . ومن أسمائه « المقسط »<sup>(٦)</sup> أي العادل : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكةُ ، وأولو العلم قائماً بالقسط »<sup>(٧)</sup> .

(٥) رواه الشيخان والترمذي

(٦) ابن الأثير ، النهاية ٣ - ٦٠

(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٨

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٧

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣٧

(٣) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٧

(٤) رواه مسلم

ومن الطبيعي أن يكون دينُ الله العادلِ هو العدلُ: « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته »<sup>(١)</sup> . وقد أرسل النبي محمداً عليه السلام ليعدل بين الناس « فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم »<sup>(٢)</sup>

### الرسول جاء لينفذ العدل

وقد أمر الله الرسول أن يبين للناس أن الله أمر بالعدل: « قل أمر ربي بالقسط »<sup>(٣)</sup> ، - « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »<sup>(٤)</sup> . ثم طلب إليه أن يأمر الناس باتخاذ العدل أساساً في أمورهم كلها ، وأن يتبعوا الحق دائماً ، لا يمنعهم عن ذلك مانع ، حتى ولو كان ذلك ضد أنفسهم أو أقربائهم ، وأن لا يهجرُوا العدلَ ولو كان بينهم وبين الآخرين عداوة . وقد ظهر ذلك في آيات متعددة : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين .. فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .. »<sup>(٥)</sup> .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يحجر منكم شأن قومٍ على ألا تعدلوا . إعدلوا هو أقرب للتقوى ،

(٤) النحل ، الآية ٩٠  
(٥) سورة النساء ، الآية ١٣٥

(١) الأنعام ، الآية ١١٥  
(٢) الشورى ، الآية ١٥  
(٣) الأعراف ، الآية ٢٩

وَأَتَقُوا اللَّهَ<sup>(١)</sup> « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا . وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ . وَبِعَهْدِ  
اللَّهِ أَوْفُوا... »<sup>(٢)</sup> .

### العدل في الأحكام ، في المجتمع

بعد أن قرّر القرآن هذا المبدأ العام بوجوب اتخاذ العدل أساساً لكل شيء ، ألحّ على العدل في الأحكام . والأحكام إنّما تتعلق بالحقوق ، أي حقوق المؤمنين بعضهم على بعض أو من بعض ، وحقوق الله على عباده . فأمر الرسول أن يحكم بالقسط « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ، إن الله يحبّ المقسطين<sup>(٣)</sup> . وأمر الناس بذلك فقال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل... »<sup>(٤)</sup> ، وقال رسول الله : « أحبّ الخلق إلى الله إمامٌ عادلٌ ، وأبغضهم إليه إمامٌ جائر . »<sup>(٥)</sup> . وقال : « أوصاني ربّي بتسع وأنا أوصيكم بها . فذكر منها : العدل في الرضا والغضب »<sup>(٦)</sup> .

لقد أنزل الله شريعةً واحدةً تُطبّق على الجميع . لا فرق بين إنسانٍ وآخر ، حاكماً كان أو رعيةً ، قويّاً أو ضعيفاً ، غنياً أو

(٤) سورة النساء ، الآية ٥٨

(٥) رواه أحمد في مسنده

(٦) رواه الشيخان .

(١) المائدة ، الآية ٨

(٢) الأنعام ، الآية ١٥٢

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٢

فقيراً . فالقانونُ إذا لم يكنْ للناسِ جميعاً ، تُطبَّقُ عليهم أحكامه على السواء ، فلا خَيْرَ فيه للمجتمع ، ويكونُ ظلماً . وإذا ارتفع العدلُ بين الناس ، صارَ الناسُ أصنافاً وطبقاتٍ ، وَبَتَ الحقدُ في صدورهم ، ومنتِ الكراهيةُ في نفوسهم ، فادى ذلك إلى هلاكهم جميعاً . قال رسول الله : « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ مِنْهُمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ . وَأَيُّمُ اللَّهِ . لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »<sup>(١)</sup> .

### العدل في الأسرة

والى جانب الحثِّ على العدل في الأحكام ، خصَّ الإسلامُ الأسرةَ وهي نواةُ المجتمع ، بنصٍ خاصٍ يوجبُ العدلَ فيها . فقد أحلَّ اللهُ الزواجَ بأربع نساء ، تنظيمًا للحياة الجنسية التي كانت مضطربة فاسدة في الجاهلية، وكبحاً لفوران شهوة العرب الى المرأة. لكنه اشترط العدلَ بينهما . «فإنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً»<sup>(٢)</sup> . ثم أفصح القرآنُ أنَّ من الصعب العدلَ بين النساءِ «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ»<sup>(٣)</sup> . فجعل العدلَ بين أربع

(١) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٩٧/١ (٣) سورة النساء ، الآية ١٢٩

(٢) سورة النساء ، الآية ٣

نساء معاً في وقت واحد ، أمراً غير مُستطاع ، وهذا إيماة للناس أن لا يتزوجوا أربع نساء معاً . وليس العدلُ الذي قصده القرآنُ في الامور الماديّة كالإطعام . واللباس ، والمسكن ... ، بل في الامور العاطفيّة أيضاً من حبّ أو مَيل أو كره . قال رسولُ الله : « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِأَحَدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْرُ أَحَدَ شِقِيهِ سَاقِطاً أَوْ مَائِلاً . »<sup>(١)</sup> .

ولقد ضرب رسولُ الله ، عليه السلام ، المثل الأعلى في عدله بين الناس ، وعدله بين نسائه ، مما هو مفصّل في كتب السيرة والحديث<sup>(٢)</sup> .

وأوجب الإسلامُ العدلَ بين الأولاد . ففي الحديث : « إِتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ »<sup>(٣)</sup> . ونصَّ الإمامُ ابنُ حزمٍ على أنه لا يحلُّ لأحدٍ أن يَهَبَ أو يتصدَّقَ على أحدٍ من ولده حتى يُعطي أو يتصدَّقَ على كلِّ واحدٍ منهم بمثل ذلك . ولا يحلُّ له أن يفضّل ذكراً على أنثى ، ولا أنثى على ذكر . فإن فعلَ فهو مفسوخٌ أبداً<sup>(٤)</sup> .

وإذا تتبعنا جميع تنظيمات الاسلام المالية والاجتماعية وجدنا العدلَ أساساً لها . حتى قال ابن قيم الجوزية : « الشريعة . . . عدلٌ كلها ، ورحمةٌ كلها ، وحكمةٌ كلها . فكلُّ مسألة خرجت عن العدل

(٣) رواه البخاري ومسلم

(١) رواه أحمد في مسنده

(٤) معجم فقه ابن حزم ١ - ٣

(٢) انظر مثلاً زاد المسلم ٤ - ٢٩

الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن  
الحكمة الى العبث فليست من الشريعة «<sup>(١)</sup>» .

\* \* \*

### العدل لغير المسلمين

لكن الناس الذين أرسل الرسول عليه السلام لهدايتهم ، لم  
يدخلوا جميعاً في دين الإسلام . ففيهم كثيرون من أهل الكتب السماوية  
السابقة . فجاء الإسلام يوصي أن نكون عادلين معهم وبارين لهم :  
« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم  
أن تبرؤوهم وتُقسطوا اليهم ، إن الله يحبُّ المقسطين »<sup>(٢)</sup> . ومن نتائج  
هذا العدل وَجَبَتْ لأهل الذمة الحماية والرعاية ، لأنهم في خفارة  
المسلمين وفي جوارهم ، فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يعتدي عليهم  
أو يصيبهم بسوء .

### الخلاصة عن العدل

هكذا نرى أن الإسلام هو دينُ العدل وقد جعل الفقهاء من  
معاني « المسلم » : المستسلم للعدل والحق . ولم يوصِ دينُ من الأديان  
بالعدل كما أوصى به الإسلام . لأن الإسلام اتخذهُ ، بعد التوحيد ، أساساً  
لشريعة . ولم تطمح الانسانيَّةُ جمعاء ، ولن تطمح ، في عصورها

(٢) سورة المتحنة ، الآية ٨

(١) أعلام الموقعين ج ٣ - ص ١

السابقة واللاحقة ، بشيء أرفع من العدل . وقد عجزت الأديانُ والمذاهبُ الإقتصادية والسياسيةُ حتى يومنا هذا عن الإتيان بنظامٍ أساسه العدلُ الصحيحُ والحقُّ الواضح ، يمكن تطبيقه ، ولقد استطاع الإسلام ذلك . وسنرى في الصفحات القادمة ، نتائج هذا العدل في المجتمع الإسلامي .

### اليُسْرُ رافق العدل في الشرع

وكما بُني الإسلامُ في أساسه على العدل ، كذلك بُني على مبدأ آخر هو اليُسْرُ . فليس الإسلامُ ديناً يثقلُ على المؤمن ، أو يُكرهه الى أمور لا يستطيع حملها . فقال الله تعالى ( وما جعلَ عليكم في الدين من حَرَجٍ )<sup>(١)</sup> ، وقال : ( ما يريدُ اللهُ ليُجعلَ عليكم من حَرَجٍ )<sup>(٢)</sup> ، وقال : ( يريدُ اللهُ بكم اليُسْرَ ولا يريدُ بكم العُسْرَ )<sup>(٣)</sup> . لذلك نرى اليُسْرَ واضحاً فيما شرّعه الدين ، ونرى الرفق والرحمة بالمؤمن ( فمن أظُرُّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه )<sup>(٤)</sup> وقال الرسولُ : « أحبُّ الدين الى الله الحنيفية السمحة »<sup>(٥)</sup> .

وقد حثَّ الرسولُ على التيسير دائماً « سَكَنُوا ولا تُنْقَرُوا ، وَيَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا »<sup>(٦)</sup> . وقد وصفت عائشة رسول الله فقالت :

- 
- |                             |                                     |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة الحج ، الآية ٧٨    | (٤) سورة البقرة ، الآية ١٧٣         |
| (٢) سورة المائدة ، الآية ٦  | (٥) رواه البخاري                    |
| (٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ | (٦) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٣٥٤/٤ |

« ما خَيْرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً »<sup>(١)</sup> .  
 وكان رسول الله يقول : « إن هذا الدين متينٌ ، فأوغلوا فيه برفق ،  
 ولا تَبْغُضُوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المُنْبِتَ لا أرضاً قَطَعَ ،  
 ولا ظهراً أبقي »<sup>(٢)</sup> . وقال : « إن الله يحبُّ أن تُؤتى رُخصه »<sup>(٣)</sup> .

فكل هذه الآيات والأحاديث تدل على روح اليسر ، التي قام عليها  
 الاسلام . ومن اليسر ، التوصية بالرفق والأخذ به دائماً . قال رسول  
 الله : « ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه »<sup>(٤)</sup> والرفق اللطف ، ولين  
 الجانب والبعد عن العنف . وقال رسول الله : « يا عائشة إن الله يحب  
 الرفق في الأمر كله »<sup>(٥)</sup> .

والى جانب الرفق جاءت الدعوة الى الرحمة . الرحمة بالانسانية  
 عامة . قال عليه السلام : « الراحون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في  
 الارض يرحمكم من في السماء »<sup>(٦)</sup> . وقال : « إنما يرحم الله من عباده  
 الرحماء »<sup>(٧)</sup> ، وحدد رسول الله أنه إنما يُبعث رحمةً للناس فقال :  
 « إنما بُعثت رحمة ولم أبعث عذاباً »<sup>(٨)</sup> .

(٥) رواه الشيخان ، زاد المسلم / ٤ / ٢٢٩

(٦) رواه الشيخان

(٧) رواه الشيخان

(٨) رواه البخاري في التاريخ

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الشيخان

(٣) رواه أحمد من حديث ابن عمر

(٤) رواه مسلم عن عائشة

### ٣ - أَعْضَاءُ هَذَا الْمَجْتَمَعِ مُتَسَاوُونَ

قبل أن يأتي الإسلام كان هناك أمورٌ كثيرةٌ تجعلُ الناسَ غير متساوين ، مثلُ شَرَفِ الأُسرةِ أو القبيلة ، أو الثراء والغنى ، أو الجنس ، أو اللون . فجاء الإسلام يُبْطِلُ هذه الفوارق . وكلُّ ما ينتجُ عنها .

#### الإسلام يحقق المساواة

فالشريف في قبيلته ليس أحسنَ من أيِّ فردٍ من أفرادها ، وليس الغنيُّ خيراً من الفقير ، وليس الأبيضُ خيراً من الأسود أو الأصفر ، وليس العربيُّ خيراً من التركي أو الفارسي . إنهم كلهم سواء .

لأنَّ منشأ الناس جميعاً متشابه ، « من نطفة » ، ومن « ذَكَرَ وأُنثى » . ونهايتهم جميعاً إلى التُّراب . « يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا »<sup>(١)</sup> - « أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كَلَّمْ لآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ »<sup>(٢)</sup> . وجاء في الحديث : « النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ »<sup>(٣)</sup> .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣

(٢) خطبة الوداع

وقد ظهرت هذه المساواة عملياً بشكل واضح جداً .

فالمسلمون جميعاً يعبدون إلهاً واحداً هو الله ، لا إله لهم غيره .  
يدعونه ويتجهون إليه رأساً بلا واسطة ولا شفعاء . وليس هناك  
آلهة متعددةٌ مختلفةٌ يتفاضلُ بعضها على بعض ، يُصوِّرُ بعضها ، أو  
يُجعلُ بعضها من ذهبٍ أو نحاسٍ أو تمرٍ .

وفي الصلاة يقفُ المسلمون جميعاً ، صفاً واحداً ، جنباً إلى جنب ،  
لا يتأخر الفقير لأنه فقير ، ولا يتقدم الغنيُّ لأنه غنيُّ ، بل يقفُ  
الفقيرُ إلى جانب الغنيِّ ، والأبيض بجانب الأسود ، والكبير  
بجانب الصغير .

وفي الحجِّ يخرج المسلمون جميعاً ، لابسين لباساً واحداً ، منادين  
نداءً واحداً ، متجهين إلى ربِّ واحد .

وفي الزكاة يدفعون نسبةً واحدةً ، لا تنقص من الغني ولا تزيد  
عند الفقير ، وإنما تنقص أو تزيدُ بمقدار ما يملكُ كلُّ واحد من المال .  
فن زاد ماله زادت زكاته ، لينتفع بها المجتمع .

وفي الصيام يصومُ المسلمون جميعاً . . في شهر واحد ، وبشكل واحد .  
لا يُسقطُ الصيامَ عن أحدٍ غناه ولا مركزه ولا حسبُه ، ولا يزيدُ فيه  
فقره أو زُهدُه .

وفي القضاء يقف المتخاصمان معاً ، المدعى والمدعى عليه لا يميز الواحد من الآخر شيء ، مهما كانت منزلتهما ، وتطبق عليهما الاحكام ، لا فرق بين رجل ورجل . حتى إن أصغر رجل من الرعيّة ليستطيع أن يقاضي الخليفة أو الملك أو السلطان أو الأمير وأن يقف معه أمام القاضي يطلب منه حقّه .

ولعلّ من أكبر دلائل المساواة أن المسلمين تتساوى وتتكافأ دماؤهم . فقد كانت قریش في ذروة العرب ، وكانت باهلة من أدنى العرب . فلو قَتَلَ قُرَشِيٌّ رجلاً من باهلة لقتل به . سأل الأشعثُ بن قيس رسولَ الله فقال : يا رسول الله ، أتتكافأ دماؤنا؟ قال : نعم . ولو قتلتَ رجلاً من باهلة لقتلتك<sup>(١)</sup> .

وحتى بعد الموت ، يُدفنون جميعاً في التراب ، في قبور وحفر متشكلة ، وبشكل واحد معروف .

---

(١) ابن كثير ، البداية ٩ - ١٦٩

## ٤ - أعضاء هذا المجتمع يتفاضلون بالتقوى

لكن هؤلاء الناس جميعاً إذا كانوا متساوين سواسية ، فإنما يتفاضلون بأمر آخر .

فهم جميعاً مدعوون إلى الإسهام في بناء المجتمع الإسلامي المؤمن . فالذي يعمل لهذا المجتمع أكثر من غيره فهو خير منه وأفضل .

وقد وضع الله « التقوى » أساساً لهذا التفاضل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »<sup>(١)</sup> - « يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ... ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى »<sup>(٢)</sup> .

### معنى التقوى

فما هذه « التقوى » التي يتفاضلُ الناس بها ؟

التقوى مُشْتَقَّةٌ من فعل « وَقَى » ، تقولُ : اتَّقَيْتُ الشَّيْءَ تَقْوًى ، وَتَقِيَّةً ، وَتَقَاءً . أي حذرته . والاسم هو « التقوى » . فيكون

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣

(٢) خطبة الوداع

معنى التقوى : « الحَذَرُ » ويكون المقصودُ منها في الآية وفي كلام الرسول : « الحذرُ مما حَرَّمَ اللهُ من أمورٍ » .

إنَّ الله حَرَّمَ الشرَّ مُطْلَقاً . وحرَّمَ كل ما يسيء إلى نفس الإنسان ، وإلى المجتمع الإنساني الذي يعيشُ فيه .

فكلما ابتعدتَ عن الشرِّ ، وحذرتَ ما يضرُّك ويضرُّ المجتمع المؤمن حولك ، وأقبلتَ على الذي ينفعك وينفع مجتمعتك ، فانت تقي .

وليس التقوى ، عندي ، الانصراف إلى أمور سلبية : كالزُّهد المتطرّف والانتقطاع عن الحياة ، وليس التقوى ، أيضاً في كثرة صلاةٍ أو صيامٍ أو تسبيح ، وإهمالٍ لنفسك ولمن حولك من المؤمنين ، فهذه أنانية .

لكنَّ التقوى تكون في الحَذَرِ من كل شرٍّ ، والإقبال على كل خير . إنها عمل الخير لنفسك وللناس جميعاً . فكلما أخذتَ من أسباب عمل الخير كان لك فضلٌ على غيرك .

فانت إذا أخذتَ في العلم ، وأوتيتَه ، ونشرته بين الناس ، كنت أفضلَ ممن لا علمَ عنده ينفع به نفسه والناس . « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجاتٍ »<sup>(١)</sup>

(١) سورة المجادلة ، الآية ١١

وإذا أخذتَ في العمل ، وعملت « عملاً صالحاً » أي أنتجتَ ما ينفعك وينفعُ الناسَ معاً ، فانتَ أفضلُ من لا يعمل . لأنك بعملك هذا تضمن الحياة الطيبة التي جاء الإسلام ليُجعلك تحياها « مَنْ عمل صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً »<sup>(١)</sup> . وليس العمل الصالحُ صلاتكُ وصومكُ ، بل يجب أن تعمل الى جانب ذلك ، ما ينفع الناس المؤمنين .

وإذا جددتَ وكسبتَ مالا بعملك وعرقَ جبينك ، وأفدتَ بهذا المال نفسكَ وأهلكَ ومجتمعك ، فانتَ أفضلُ من لا يكسب ، بل يطلب ويستعطي ، وأفضلُ من يكسب ويشحّ فلا يُعطي .

فخير النفس في الإسلام مقرون بخير الناس دائماً ، وميزان الخير هو الابتعادُ عن الشرِّ ، وعما حرّم الله من أمور .

وهذا المفهوم للتقوى من أنها « العمل الصالح » أدركها الأقدمون . قال طَلْقُ بن حبيب العنزي التابعي : تقووا بالتقوى . فقليل له : صف لنا التقوى . فقال : التقوى هي « العملُ » بطاعة الله<sup>(٢)</sup> .

وكذلك أدركوا أن التفاضل يكون بالعمل للمجتمع . قال الأشعثُ بن قيس يوماً لقومه ، وكان أمير كندة في الجاهلية ، وسيدها في الإسلام : « ليس لي فضلٌ عليكم ، لكنني أبسط لكم وجهي ،

(١) سورة النحل ، الآية ٩٧

(٢) ابن كثير ، البداية ٩ - ١٠١

وأبذل لكم مالي ، وأقضي حقوقكم ، وأحوط حريمكم . فمن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن زاد عليه فهو خيرٌ مني ، ومن زدتُ عليه فانا خيرٌ منه <sup>(١)</sup> .

يؤيد هذا كله قوله عليه السلام : « خيرُ الناس أنفعهم للناس » <sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا يكون الناسُ في الإسلام متساوين من حيث المنشأ والجنس ، واللون ، والعقيدة ، والإيمان ، وفي الواجبات ، والحقوق ، لكنهم يتفاضلون بعملهم : « انما يقدّس الإنسان عمله » قال ذلك سلمان الفارس لأبي الدرداء . وتناجهم ، وكسبهم وما يقدمونه للمجتمع المؤمن حولهم ، كل ذلك حسب مواهبهم التي لا يمكن قطّ أن يتساووا فيها ، لأن العقول تتفاضل ، والأفهام تتفاوت ، مهبا هيأت للناس من فرص مادية واحدة : « اعملوا فكلٌ مُيسرٌ لما خُلق له » <sup>(٣)</sup> .

### والمرأة مساوية للرجل

وقد جعل الإسلام المرأة عضواً في المجتمع الإسلامي مساوية الرجل . ففي آيات كثيرة نجد النساء يُذَكَّرُن إلى جانب الرجال ، ويخاطبن كما يخاطبون . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » <sup>(٤)</sup> ، « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات <sup>(٥)</sup> » ، « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » <sup>(٦)</sup> .

(٤) سورة التوبة ، الآية ٧١  
(٥) سورة التوبة ، الآية ٧٢  
(٦) سورة محمد ( ص ) الآية ١٩

(١) المصدر السابق  
(٢) رواه الطبراني  
(٣) رواه أحمد ، والطبراني

وقد حلّ الإسلام بهذه المساواة مشكلة الطبقات في المجتمع الانساني، التي قامت على أسس توجب الظلم . فالناس في مجتمع الإسلام ، على ما وصفهم الرسول « سواسية كأسنان المشط » .

## ٥ - لا عبودية في المجتمع الإسلامي. المشامون أحرار

كما أنّ العدل يقضي أن يكون الناس متساوين ، كذلك يقضي أن يكونوا أحراراً . وقد عبّر عمرُ بن الخطاب عن هذا المبدأ الإسلامي بقوله : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » . فلا عبودية في الاسلام بين الناس .

ومن نتائج هذا المبدأ أننا نجد الإسلام أولَ دين ، وأولَ نظام اجتماعي في الدنيا ، حاول إيجاد حلّ لمشكلة الرقيق التي كانت قائمة في العصر الجاهلي عند العرب ، وعند أمم أخرى غيرهم . فقد أبطل أسباب الاسترقاق الجاهلية ، ومهد وحثّ على إبطال الرقيق وتحرير العبيد بوسائل شتى . قال الرسول : « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مؤمنة أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً من أعضائه من النار »<sup>(٤)</sup> .

وجاء في الحديث : ثلاثة يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين .. ( وذكر

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، زاد المسلم ٣ - ٩٠

منهم : ) ورجل كانت له أمةٌ فغذاها فأحسنَ غذاها ، ثم أدبها فأحسنَ تأديبها ، ثم أعتقها ، وتزوجها<sup>(١)</sup> .

فهنا حدثٌ شديدٌ على إحسان معاملة الرقيق ، ودعوة شديدة إلى عتقه وتحريره ، ثم دعوة إلى إكرامه بالزواج .

ولقد منع الإسلامُ إهانة الرقيق ، ففي الحديث : « مَنْ لَطَمَ مملوكاً له ، أو ضربه ، فكفَّارته عتقه »<sup>(٢)</sup> . وقد جعل مَنْ ضَرَبَ عبده أو أهانه من الأشرار . قال رسول الله : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : من نزل وحده ، ومنع رَفده ، وجلد عبده »<sup>(٣)</sup>

وجعل الإسلامُ أيضاً كفارةً كثيرٍ من الذنوب التي يقترفها الإنسان ، تحريرَ عبديٍّ من رِقِّه .

ولم يقتصر الأمرُ بتحرير العبيد على العبيد المسلمين ، بل شمل ذلك تحرير الكتابيِّ غير المسلم ، نصَّ على ذلك ابن حزم والقاضي عياض<sup>(٤)</sup> .

وعندما يُصبح الرقيقُ حرّاً فلا تبطل الحرِّيَّةُ عنه . يبقى حرّاً هو ومَنْ تناسل منه من ذكرٍ وأنثى<sup>(٥)</sup> .

(٤) معجم فقه ابن حزم ص ٩٤ ؛ زاد

المسلم ٣ - ٩٠

(٥) معجم فقه ابن حزم ، ص ٤٠٢

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه مسلم وأبو داود

(٣) رواه الطبراني

وحرية المسلم في مجتمعه الاسلامي تظهر في وجوه أخرى .

آ - فهناك الحرية السياسية التي تتجلى في مبدأ الشورى . فلا استبداد في الرأي من قبل الحاكم ، ولا قلة تتحكم بالكثرة . بل إن « أمرهم شورى بينهم » . وقد أمر الله الرسول أن يستشير المسلمين في الأمور العامة : « وأَعْفُ عَنْهُمْ ، وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ »<sup>(١)</sup> .

ب - وهناك حرية التفكير والنصح والنقد وإبداء الرأي . فالحرية الفكرية مُصانة . وكلُّ مسلم له الحق أن يبدي رأيه في أعمال الحاكم ، وأعمال إخوانه إذا كان فيها ضررٌ على المجتمع المسلم . وله أن ينبه على الخطأ ويدل على الطريق الحسن . وهذا هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . يفعل ذلك دون أن يخاف ظمأً أو تعذيباً أو سجنًا . وكثيراً ما نبّه الصحابة الرسول الى أمور ، وظهر له صوابها ، فأتبعها .

وكذلك فإن له أن يقترح على الحاكم ما فيه الخير للمجتمع . خطب عمر بن الخطاب في الناس عندما أراد القفول من طاعون عمواس فقال : « من علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به ، إن شاء الله »<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩

(٢) ابن كثير ، البداية ٧ - ٧٩

ج - وهناك حرية التفكير والاختيار . وقد دعا القرآنُ الناسَ أن يفكروا ، ويتدبروا الأمورَ بعقولهم ، « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ »<sup>(١)</sup> - « نذيراً للبشر ، لمن شاءَ منكم أن يتقدمَ أو يتأخرَ »<sup>(٢)</sup> .

د - وهناك حرية التملك . فانت تستطيعُ أن تملك ما تشاء بالحق ، أي بسعيك ومالك . وليس بالسرقة أو الرشوة أو الاغتصاب . ولا يحق لأحدٍ من الناس ، ولا للحاكم ، أن ينزع حقَّ التملك منك . ولا أن يأخذ مالك إلا برضاك ، لا غضباً ولا سرقةً ولا تأميراً . قال الرسول : « كُلُّ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرْضُهُ »<sup>(٣)</sup> . ولا تُقيّد الملكية إلا إذا أدّى استعمالها إلى الإضرار بالغير .

ولا خوف من أن يزيد مالكُ مهها زاد ، ولو بلغ الملايين ، ما دُمت تقوم بواجبك نحو المجتمع الذي تعيش فيه فتؤدّي الزكاة وتنفق على الفقراء والمساكين ، وتبذل الخير لمن حولك .

هـ - وهناك حرية العمل في بلدك ، والسفر في الأرض العريضة للكسب . لا يمنعك من ذلك حاكمٌ ولا قانون . وتدخل كلَّ أرض انتشر فيها الإسلام بلا إذنٍ أو رخصة . ولا يحولُ دون حوافزك

(٣) خطبة الوداع لابن حزم ١٠١

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٩

(٢) سورة المدثر ، الآية ٣٦ ، ٣٧

للعمل والكسب حائل . « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها ، واكلوا من رزقه »<sup>(١)</sup> . فكلما زاد عملك وكسبك كان في ذلك النفع لنفسك وللمجتمع الإسلامي .

وبعد هذا كله لا يجوز الحجر على أحدٍ في حريته أو ماله ، إلا أن يكون مجنونا يضر مجنونه الناس ، أو سفيها يضر بتصرفاته نفسه وأهله وماله .

و - وهذه الحرية حق للمرأة كما هي حق للرجل .

فلها أن تملك ، وتتصرف بما تملك . ولها أن تُبدي رأيها وتنتقد وتُجادل . وقد نزل القرآن في التي جاءت تُجادل رسول الله . ولها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ولها أن تعمل وتكسب ، تعمل عملا لا تضرّ به نفسها أو زوجها وبيتها وأولادها ، ولها أن تتولى وظائف الدولة والقضاء - ما عدا الحكم . وأن تشارك في انتخاب الإمام ومبايعته . وأن تخرج الى الغزو والجهاد . فتعمل ما يوافق طبيعتها من تضييد الجراح أو إسقاء الجنود أو صنع الطعام أو العناية بالمرضى أو إثارة الناس على القتال أو غير ذلك . ولها أن تكون استاذة ومعلمة ، أو تراوِل التجارة والصناعة والزراعة . شريطة أن لا يكون فيما تعمله ضرر لها أو لزوجها أو بيتها وأولادها .

---

(١) سورة الملك ، الآية ١٥

ز - وهناك أخيراً ، في هذا المجتمع ، حرية الايمان لغير المسلمين .  
وهذه تابعة من قوله تعالى ( لا إكراهَ في الدين )<sup>(١)</sup> . والإكراه يكون  
بالضغط المادي والروحي . فما دامت تعاليم الإسلام واضحة مفصلة  
فلغير المسلم أن يتدبرها ويفهمها . فإن شاء فليؤمن ، وإن شاء فليُبقَ  
على عقيدته . وقال الله تعالى : « ولو شاء ربك لآمنَ مَنْ في الأرض  
كلهم جميعاً ، أفانتَ تُكْرهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ؟ »<sup>(٢)</sup> .

وقد جاءت عجوزٌ نصرانية مرة الى عمر بن الخطاب في حاجة  
لها ، فلما قضاها دعاها الى الإسلام فأبت . فخشي أن يكون كلامه  
إكراهاً لها . فقال : « اللهم إني لم أكرهها . لا إكراه في الدين قد تبين  
الرشدُ من الغي » .

وحتى المرأة غير المسلمة من أهل الكتاب ، إذا تزوجها المسلم  
فلها أن تبقى على دينها .

#### هذه الحرية مسنولة

لكنّ هذه الحرية التي أوتيتها الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي  
لها حدود . وحدودها تقف عند عدم التجاوز على حقوق الآخرين ،  
وعند عدم إلحاق الضرر بهم . فانت لا تستطيع باسم حريتك أن  
تعتدي على حقوق اخوانك في المجتمع المؤمن ، أو تسلب حريتهم ،

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦

(٢) سورة يونس ، الآية ١٠٠

أو تؤذيهم ، أو تسبب ضرراً لهم . ولا تستطيع باسم حرّيتك أن تضرّ نفسك ، لأنك جزء من المجتمع .

فالحرية في المجتمع الإسلاميّ مسؤولة . أي أن كل فرد مسلم مسؤل عن أعماله التي يقوم بها باسم الحرية . « للرجال نصيبٌ بما اكتسبوا ، وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن »<sup>(١)</sup> . لأن الله وهب الرجل والمرأة العقل ، وأعطاهما ، بالقرآن ، الدليل إلى الخير ، وأمرهما أن يفكرا ويتدبرا الأمور . فإذا عملا باسم الحرية ما هو شرٌّ على نفسيّتها أو على مجتمعهما ، فلا بدّ أن يلقي كل منهما عقاب ما اقترفه أو جناه .

والعقوبات التي شرّعها الإسلام ليست غايتها إذلال الانسان أو الانتقام منه ، وإنما هي زواجر لإصلاحه وتنبئيه ، خوفاً من فساد المجتمع المؤمن ، وفساده نفسه ، وكفّاراتٌ عما اقترفه من عمل سيء لا يليق به أن يفعله ، بعد أن أكرمه المجتمع ورعاه . وهذا منطقيٌّ جداً . فما كان من الأعمال السيئة التي ارتكبها متعلّقاً بحقوق الله ، ولم يجاهر بها ، فلله أن يعفو ويغفر إذا تاب المرء واستغفر « والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يُصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم »<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النساء ، الآية ٣٢

(٢) سورة آل عمران ، ١٣٥ ، ١٣٦

وهذا القصاص فيه ضمانٌ لبقاء المجتمع وحياته . « ولكم في القصاص حياة »<sup>(١)</sup> .

ولكن اذا صنع المرء عملاً صالحاً لنفسه وللمجتمع الإسلامي فلا بدَّ أن يلقى ، باسم العدالة ، المكافأة على ذلك من المجتمع نفسه ومن الله . ( وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يُجزأه الجزاء الأوفى )<sup>(٢)</sup> .

« فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »<sup>(٣)</sup> .

وميزان هذه المسئولية يقوم على الإيمان ، وعلى الشريعة .

## ٦ - الأخوة الإسلامية ترتبط بإعضاء المجتمع الإسلامي

فقد حلت « الأخوة الدينية » محلّ العنصرية والجنسية اللتين كانتا في العصر الجاهلي . فجاء القرآن يقول : « إنما المؤمنون إخوة »<sup>(٤)</sup> ، وجاء في الحديث « المسلم أخو المسلم »<sup>(٥)</sup> .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٥) رواه البخاري ومسلم

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٩

(٢) سورة النجم ، الآيات ٣٩ - ٤١

(٣) سورة النزللة ، الآية ٧ ، ٨

ولقد جعلت هذه «الأخوة» العربَ أمةَ جديدةً ، وجعلت آفاقَ الإسلامِ أوسعَ مدىً : صارت آفاقه العالمَ كُلَّهُ لا الجزيرةَ العربيةَ وحدها .

وأوجدت هذه الأخوةُ أيضاً عند الفرد المسلم الإحساسَ بالجماعة الإسلامية ومصالحها وخيرها ، وعند الجماعة الإحساسَ بالفرد ومصالحه وخيره ، وتنتج عن هذا الإحساس المتبادل تضامنٌ روحيٌّ وتضامنٌ مادي ، هدفها تمتين هذه الأخوةَ وبقاؤها .

رسمَ الله ورسولُه لهذه الأخوةَ كل ما يقويها ويُبقِيها ويغذيها . «المسلمُ للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً»<sup>(١)</sup> أي أن المجتمع الإسلامي ينبغي أن يكون بنياناً مرصوماً ، وأن يكون المؤمنون مثل الجسد ، وحدة قائمة متشابكة متألّفة ، يعمل كل عضو فيه عمله في سبيل مصلحة الجسد كُلِّه . «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّدِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»<sup>(٢)</sup> .

(٢) أخرجه مسلم واللفظ له ، والبخاري

(١) رواه البخاري ومسلم

إن دعوة الرسول إنما جاءت لإحياء الناس حياة طيبة . لذلك أمرهم الله أن يستجيبوا لدعوته « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحْيِيكُمْ »<sup>(١)</sup> . فدعوة الإسلام هي دعوة للحياة . وقد نظم الإسلام في دعوته كل ما تدعو إليه وتتطلبه . كالتنظيم، والبعد عن الفوضى ، وأن لا تتضارب عناصر المجتمع أو تتعارض لئلا تفقد حيويتها أو يقضي بعضها على بعض ، وكذلك تتطلب الانطلاق في العمل « اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً »<sup>(٢)</sup> ، بتفاؤل وبعده عن اليأس ، وباستمرار لا ينقطع « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »<sup>(٣)</sup> . وتتطلب العلم ومعرفة الأمور وإتقانها ، وتتطلب المحافظة على الصحة والبعد عن القاذورات ، وتتطلب الأخذ بالأسباب وعدم الاتكال . وعلى الجملة ما من أمر يُحْيِي المجتمع المسلم إلا وجدنا الإسلام يدعو إليه ، وما من شيء يوصل إلى الانحطاط والوهن والضعف إلا منعه الإسلام . فالمجتمع الاسلامي مثل خلية النحل حية نشيطة منتجة .

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢٤

(٢) النبأية لابن الأثير ٣٥٩/١

(٣) رواه البخاري ومسلم

إنه يمنع أفرادَه أن يقتلوا أنفسهم « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً »<sup>(١)</sup>. وقال رسولُ الله ناقلًا عن ربه : « بادرنِي عبدي بنفسه فحرّمتُ عليه الجنة »<sup>(٢)</sup> ، أي أنه انتحر . وكذلك يمنعهم أن يقتلوا الآخرين « ولا تقتلوا النفسَ التي حرّمَ الله إلّا بالحق »<sup>(٣)</sup> - « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا . وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا »<sup>(٤)</sup> . فقتلُ النفس جريمة ضد الإنسانية كلّها . ومنع الإسلامُ أيضًا من قتل الأَوْلاد ، وكان العرب يقتلون أولادهم « ولا تقتلوا أولادكم خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ »<sup>(٥)</sup> . وعلى الجملة فالقتل مُنكَرٌ . « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا »<sup>(٦)</sup> . وكذلك منع الفقهاء قتلَ الجنين وإسقاطه بعد نفخ الروح فيه .

وليس منعُ القتل محصوراً بأعضاء المجتمع الإسلامي من المسلمين، بل هو يشمل غير المسلمين من أهل الذمّة . قال رسولُ الله : « مَنْ

(٤) سورة المائدة ، الآية ٣٢

(٥) سورة الاسراء ، الآية ٣١

(٦) سورة النساء ، الآية ٩٣

(١) سورة النساء ، الآية ٢٩

(٢) رواه البخاري في آخر بدء الخلق

(٣) سورة الانعام ، الآية ١٥١

قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة<sup>(١)</sup>. فدم الذميّ مصون،  
ومن اعتدى عليه يُقْتَصُّ منه .

وحتى في حال الدفاع يجب أن لا يقتل المسلم شيخاً أو طفلاً  
أو امرأة ، إلا أن يبدأوا بالعدوان . فيكون القتل دفاعاً  
وليس اعتداء .

ولم يقف احترام النفس الانسانية عند منع القتل ، بل كانت  
احترامها لذاتها . مرّت جنازة فوق رسول الله . فقيل له : إنها  
جنازة يهودي ، فقال : أليست نفساً ؟<sup>(٢)</sup> .

## ٩ — غَايَةُ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ : السَّلَام

ان غاية المجتمع الاسلامي تحقيق السلام . فالله سبحانه من أسمائه  
« السلام » . « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام »<sup>(٣)</sup> .  
« والله يدعو الى دارِ السلام »<sup>(٤)</sup> . وقد جعل الاسلام نداء  
المؤمن للمؤمن « السلام عليكم » . « وإذا جاءك الذين يؤمنون

(٣) سورة الحشر ، الآية ٢٣

(٤) سورة يونس ، الآية ٢٥

(١) رواه النسائي

(٢) رواه البخاري

بآياتنا فقل: سلامٌ عليكم<sup>(١)</sup> ، وأوجب الرسول على المؤمنين نشر تحية السلام بينهم وردَّ التحية . قال رسول الله : « أئبها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، تدخلوا الجنة بسلام<sup>(٢)</sup> . فالسلام ، أي التحية ، هو الطريق الى السلام - أي الأمن - بين أفراد هذا المجتمع . فكان كل مسلم يقول لأخيه المسلم عندما يلقاه : سلام عليك . لا تحف مني إذى ، ولا تحش مكرها . وهذا التأكيد على إفشاء السلام هو طريق المحبة . قال الرسول : « ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم<sup>(٣)</sup> . ومن إلحاح الاسلام على السلام جعل تحية أهل الجنة السلام أيضاً : « دعواهم فيها سبحانهك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام<sup>(٤)</sup> . وأمر الله المسلمين أن لا يتركوا السلم . « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة<sup>(٥)</sup> » واذن فلا حروب بين أفراد المجتمع ولا حروب بين الدول . ولا يحق للمسلمين ان يبدأوا حرباً .

لكن الاسلام إذا أوجب نشر السلام بين أعضاء المجتمع الاسلامي ، ابتغاء نشر المحبة والألفة ، وضمان الأمن والهناءة في الحياة الطيبة التي رسمها لهم ، وأمرهم بالدخول في السلم ، فليس معنى ذلك أن يكونوا ضعفاء أذلاء يشغلهم طلب السلام عن القوة ، بل أمرهم أن يكونوا

(٤) سورة يونس ، الآية ١٠

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨

(١) سورة الانعام ، الآية ٤٥

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذي

(٣) أخرجه مسلم

جميعاً أقوياء ليدافعوا عن الإسلام ، وليمنعوا اعتداء المعتدين من غير المسلمين وخدمهم ، لأن المسلم الصحيح لا يعتدي على مسلم ولا يحمل عليه السلاح . قال الرسول : « من حمل علينا السلاحَ فليس منا »<sup>(١)</sup> . وقال الله : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ »<sup>(٢)</sup> والمؤمن لا بدَّ أن يكون قوياً « المؤمن القويُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمَنِ الضَّعِيفِ »<sup>(٣)</sup> . والقوة تكون في السلاح ، وتكون في العلم ، وتكون في المال . وفي كل ما يضمن لك أن لا يعتدي أحدٌ عليك .

وليس للمسلمين أن يعتدوا على غيرهم . قال الله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ، ولا تعتدوا »<sup>(٤)</sup> . فالحرب في الإسلام هي للدفاع .

وهذا الدفاع عن الاسلام من الخطر الذي يأتيه من أعدائه من الخارج ، أو من الخربّين المضللّين في الداخل ، يتمّ بالجهاد في سبيل الله . أي أن المحافظة على الدين ، وعلى بلاد الاسلام ، وعلى المجتمع الاسلامي من العدوان توجب الجهاد . وهو واجب على كل مسلم .

وهذا الجهادُ يكون بالسلاح واليد ، ويكون باللسان والقلم ،

(١) رواه البخاري ومسلم ، وأحمد

(٢) سورة الانفال ، الآية ٦٠

(٣) رواه مسلم

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٩٠

ويكون بالاستنكار . ومن الأحاديث الواردة في الجهاد « أفضل الجهاد من قال كلمة حقٍ عند سلطان جائر »<sup>(١)</sup>

## ١٠ - الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ أُعِزَّةٌ

ما دام الاستعباد لا يجوز على أحدٍ من المسلمين ، فلا بدَّ أن يكون كلُّ مسلمٍ في هذا المجتمع الاسلامي عزيزاً لا يذلُّه أحدٌ ، ولا يُذلُّ هو أحداً . وعزَّة المسلمين جاءت في القرآن « والله العزَّة ولسوله وللمؤمنين »<sup>(٢)</sup> . وقد تبرأ الرسول من المسلم الذليل « مَنْ أَعْطَى الذَّلَّةَ نَفْسَهُ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَلَيْسَ مِنَّا »<sup>(٣)</sup> . وقال الرسول : « لا ينبغي للمؤمن أن يُذلَّ نفسه »<sup>(٤)</sup> .

اذن لا يحقُّ للمسلم أن يكون ذليلاً ، ولا أن يرتضي الذلَّ ، ولا أن يذلَّ أخاه المسلم . وهذه العزَّة راجعة الى أن الله كرَّم الانسان « ولقد كرَّمنا بني آدم »<sup>(٥)</sup> ولم يجعله أداة للاستثمار يستثمره شخص أو حكومة .

وليست العزَّة هي التكبر أو التيه أو البغي ، لكنها ارتفاع

(٤) أخرجه ابن ماجه ، والترمذي

(٥) سورة الاسراء ، الآية ٧٠

(١) رواه ابو داود والترمذي

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٨

(٣) رواه الطبراني

النفس عن أعمال المهانة والذل . لذلك أمر الله بالتواضع مع العزّة . قال رسول الله : « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ، ولا يبغي أحدٌ على أحد »<sup>(١)</sup> .

## ١١ — المجتمع الإسلامي يُعنى بالأسرة ويحميها

لارهبانية في الاسلام ، لأنه تمنع نموّ المجتمع ، لذلك رغب الرسولُ بالزواج ليزداد المجتمع الاسلامي . قال الرسول : « تناكحوا تكثروا ، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » . رواه البيهقي . وقال : « شراركم عُزّابكم ، وأراذل موتاكم عُزّابكم »<sup>(٢)</sup> .

جعل الاسلامُ الزواجَ وسيلة لربط الرجل بالمرأة ، وقضى على فوضى الجاهلية في الأمور الجنسية ، ورفع من شأن المرأة ، وأبعدها عن أن تكون وسيلة للذة فقط . فقال الله : « ومن آياته أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودةً ورحمةً »<sup>(٣)</sup> . فقال : « لتسكنوا اليها » ، أي لتطمثنوا ، ولم يقل « لتتمتعوا » أو « لتلدوا » . فالمرأة وسيلة للطمانينة والراحة . والودّ هو الذي يجعل الرابطة قوية بين الرجل والمرأة . وجاء رجلٌ الى النبي فقال :

(٣) سورة الروم ، الآية ٢١

(١) رواه مسلم  
(٢) زاد المسلم ٢/٢٢٥

يا رسول الله ، أصبتُ امرأة ذات جمالٍ وحسبٍ ، وإنها لا تلد ، أفأتزوجها؟ قال : لا ، ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا الودود الودود «<sup>(١)</sup> . وهذا الحديث يلخص مهمة المرأة . فهي شريكة للرجل في حياته ، وهي التي تنجب الأولاد للمجتمع . وقد أوصى الرسولُ الرجلَ أن يعاشر زوجته بالاحسان والمعروف « استوصوا بالنساء خيراً »<sup>(٢)</sup> ، وقال : « خيركم خيركم لأهله »<sup>(٣)</sup> وأوصى النساء بالطاعة والاهتمام بالزوج ، والبيت ، والأطفال .

وجعل الرسولُ « أبغض الحلال الى الله الطلاق »<sup>(٤)</sup> ، لأن فيه فصماً لعرى الزوجية .

ووصى الآباء أن يعدلوا بين الأولاد ، كما أوصى أن يغمروهم بحبهم وعطفهم ، وبرّهم . قال الأقرع بن حابس التميمي ، وهو عند رسول الله : إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً . فنظر اليه رسول الله ثم قال : « مَنْ لا يرحمُ لا يُرحم »<sup>(٥)</sup> .

ثم وصى الأولادَ بأبويهم : « ووصينا الانسانَ بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً »<sup>(٦)</sup> ، « وقضى ربك أن لا تعبدوا

(٤) رواه البخاري ومسلم  
 (٥) رواه البخاري وابو داود والترمذي  
 (٦) سورة الاحقاف ، الآية ١٥

(٤) رواه ابو داود ، والنسائي ، والحاكم  
 وصححه  
 (٢) رواه البخاري ومسلم  
 (٣) رواه البخاري ومسلم

إلا إتياءه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقلنَّ لهما أفٍ ولا تنهرنَّهما وقلنَّ لهما قولاً كريماً . وأخفضنَّ لهما جناح الذلِّ من الرحمة ، وقلنَّ ربُّ أرحمهما كما ربياني صغيراً<sup>(١)</sup> .

وأوصى الرسولُ أن يُنفقَ الولد على أبيه : « إن أولادكم أطيب كسبكم ، كلوا من كسب أولادكم »<sup>(٢)</sup> . وجاء رجلٌ الى الرسول فقال له : إن لي مالاً ، وإن والدي يحتاج الى مالي . قال : أنت ومالك لوالدك<sup>(٣)</sup> وقد ورد في الحديث : الجنة تحت أقدام الأمهات<sup>(٤)</sup> .

وفي سبيل المحافظة على طهارة المرأة وعزَّتها ، فلا تكون متعةً رخيصةً ، يتناقلها الرجال ، حرّم الله الزنا ، وحضَّ على الإحصان ومنع البغاء . « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً »<sup>(٥)</sup> وجعل عقوبة الزنا شديدة قاسية إذا ثبت . الرجم للرجل والمرأة إذا كانا مُحصنين ، حتى يموتا ، والجلدُ لغير المحصنين والمحصات ، مئةَ جَلدَة .

كل ذلك لإعزاز المرأة ، وطهارة الأسرة والمحافظة على الأنساب . وقد منع في سبيل المحافظة على النسب أن ينتسب أيُّ رجل الى غير

(٤) رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه

(٥) سورة الاسراء ، الآية ٣٢

(١) سورة الاسراء ، الآية ٢٣ ، ٢٤

(٢) رواه ابو داود

(٣) رواه ابن ماجه

أبيه : « ليس من رَجُلٍ ادَّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كُفر »<sup>(١)</sup>

ووسَّع الإسلامُ هذا التضامَنَ الروحيَّ في الأسرة فشمل الأرحام وذوي القُرْبى . فوصى بصلة الأرحام الروحية، والعناية بهم، وتفقدهم وعدم الانقطاع عنهم . قال رسولُ الله : « مَنْ سَرَّه أَنْ يُسَاطَ له في رزقهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ له في أثرهِ (أجله) فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »<sup>(٢)</sup> . ورغَّب في معرفة الأنساب لصلة الرحم . قال : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صِلَةَ الرحمِ محبةٌ في الأهل ، مَثْرَةٌ في المال ، مَنَسَاةٌ في الأثر »<sup>(٣)</sup>

## ١٢ — المحبة تسود المجتمع الإسلامي

وهذا المجتمع قائم على الحب الدائم . وقد حدَّد الإسلام مقدار هذا الحب تحديداً رائعاً . فقال الرسولُ : « لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه »<sup>(٤)</sup> . وجاء في الحديث أيضاً : « إنَّ أفضلَ الإيمانِ أن تُحبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك »<sup>(٥)</sup> . ولا يحبُّ الإنسانُ لنفسه إلاَّ كلَّ خير وسعادة،

(٤) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي

(٥) رواه أحمد

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) رواه الترمذي وأحمد والحاكم

فهو اذن يجبّ مثلَ ذلك لأخيه . وكذلك جعل الإسلامُ هذه الحجة من شروط الإيمان ، فقال الرسول : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابّوا <sup>(١)</sup> » . وهذا الحب هو الذي يدفع الى الايثار « ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة <sup>(٢)</sup> » لأن الأثرة هي التي تُهلك النفس والمجتمع .

وقد جهد الإسلامُ أقصى جهده أن يكون هذا المجتمعُ مُنزهاً عن كلِّ ما يُنافي حب المؤمنين بعضهم لبعض . فإدان ومنع ، في سبيل تقوية التضامن الروحي ، كل ما ينقضه من أمراض القلوب :

فلا يحق لظالم أن يحكم المسلمين أو يكون بينهم ، وعلى المؤمنين أن يقضوا عليه . فلا مكان للظلم في مجتمع الإسلام . قال الرسولُ : « إن الناسَ إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أو شك أن يعصم الله تعالى بعقاب <sup>(٣)</sup> . فهذه دعوةٌ واضحةٌ لإبعاد كل ظالم مستبد . وكذلك لا مكان للظلم في المجتمع الإسلامي . قال الرسول : « المسلمُ أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ، أو يثلمه <sup>(٤)</sup> » . وقال « لينصرُ الرجلُ أخاه ظلماً أو مظلوماً . إن كان ظلماً فَلْيَنْهَهُ ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ ، وَإِنْ كَانَ

(٣) رواه أبو دارد والترمذي

(٤) رواه البخاري ومسلم

(١) أخرجه مسلم

(٢) سورة الحشر ، الآية ٩

مظلوماً فليُنصِرْهُ»<sup>(١)</sup> . وقال : « مَنْ مشى مع ظالم فقد سعى إلى النار »<sup>(٢)</sup> .

ب - ولا يحقّ لمسلم أن يعتديَ على أخيه المسلم أيّ نوع من الاعتداء : ولا أن يُطلقَ لسانه فيه بالسوء ، ولا أن يقذفه بالباطل .  
سُئِلَ رسولُ الله : أيُّ الإسلام أفضل ؟ قال : المسلمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانه ويده »<sup>(٣)</sup> . وقال : « سبابُ المسلم فسوقٌ ، وقتاله كفر »<sup>(٤)</sup> .  
والأعراضُ مصونة . فمن قذف امرءاً عوقب « والذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً »<sup>(٥)</sup> .

ج - ويدينُ الإسلام جميع الصغائر التي تقضي على الحب وتُفسد المجتمع . فهو يدين التجسّس بين المسلمين ، قال الرسولُ : « لا تؤذوا المسلمين ولا تتتبعوا عوراتهم »<sup>(٦)</sup> . وقال : « من أطلع في بيت قومٍ بغير إذنهم فقد حلّ لهم أن يققأوا عينه »<sup>(٧)</sup> . وقد جاء في القرآن الكريم الأمرُ الصريح : « ولا تجسسوا »<sup>(٨)</sup> .

ويدين الغيبة ، وهي أن تذكر أخاك بما يكره . « ولا يغتَبْ »

(٥) سورة الاحزاب ، الآية ٥٨

(٦) رواه ابن ماجه

(٧) رواه الشيخان

(٨) سورة الحجرات ، الآية ١٢

(١) رواه الشيخان

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) رواه الشيخان ، والترمذي

(٤) أخرجه الشيخان والترمذي

بعضكم بعضاً ، أوجبُّ أحدكم أن يأكلَ لحمَ أخيه ميتاً ، فكرهتموه»<sup>(١)</sup> .

ويدينُ النميمة ، وهي أن ينقل الإنسانُ حديثاً سمعه من إنسان أو جماعة . قال رسولُ الله: « شرارُ عبادِ الله المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة»<sup>(٢)</sup> . وقال : « لا يدخل الجنة قتات»<sup>(٣)</sup> . والقتاتُ الذي يتسمّع على جماعة وهم لا يعلمون ثم ينمّ عليهم .

وكان رسولُ الله ينهى أن يأتيه أصحابه بأخبار الآخرين قال : « لا يُبلِّغني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئاً . فإني أحبُّ أن أُخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصدر»<sup>(٤)</sup> .

ويدين سوءَ الظنِّ بالناس . قال الله تعالى : « يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنِّ ، إن بعضَ الظنِّ إثمٌ»<sup>(٥)</sup> .

ويدينُ التباغضَ والتحاسدَ والتنازع . ففي الحديث : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عبادَ الله اخواناً»<sup>(٦)</sup> ، وقال الله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا»<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٢

(٢) رواه الشيخان

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٤٦

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٢

(٢) مسند أحمد

(٣) رواه الأربعة

(٤) رواه أبو داود والترمذي

ويدينُ القطيعة والهجران . « لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »<sup>(١)</sup> .

ويدين الأثرة والأناية . وقد جعل الرسولُ الأنايَ لا يتميِّز من الحيوان . جاء أعرابيُّ فأناخ راحلته ، ثم عقّلها ، ثم دخل المسجد فصلى خلف النبيِّ ، ثم أتى راحلته فأطلقها ، ثم ركب ثم نادى : « اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا تشرك في رحمتنا أحداً » . فقال رسول الله : أتقولون هو أضلُّ أم بعيره<sup>(٢)</sup> ؟

ويدين الذبذبة والنفاق . قال الله تعالى : « مُدَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ »<sup>(٣)</sup> . وقال رسول الله : « إنَّ شرَّ الناس ذُو الوجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بَوَّجِهَهُ وَهَؤُلَاءِ بَوَّجِهَهُ »<sup>(٤)</sup> . ووصف الرسولُ المنافقَ فقال : « آيةُ المنافقِ ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوْتَمَن خان »<sup>(٥)</sup> .

ويدين الكبر والاختيال . قال رسول الله : « لا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مثقالُ حَبَّةِ خردلٍ من كبرياء »<sup>(٦)</sup> .

ويدين سخرية الناس بعضهم من بعض : « لا يسخرُ قومٌ من

(٤) رواه الأربعة  
(٥) رواه البخاري ومسلم  
(٦) رواه مسلم والترمذي

(١) رواه الشيخان وأبو داود  
(٢) رواه الحمزة ، ولفظه لابي داود  
(٣) سورة النساء، الآية ١٤٣

قوم ، عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أن يكنّ خيراً منهنّ<sup>(١)</sup> .

ويدين تحقير الناس « بحسب امرئٍ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم<sup>(٢)</sup> » .

ويدين الغشّ في المعاملات « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا<sup>(٣)</sup> » . ويدين الغبن ، والتغريب ، والإكراه في البيع ، والتواطؤ ، وغير ذلك .

ويدين العصبية لأنها تثير النفور ، وتورث الحقد . قال رسول الله : « ليس منا مَنْ دعا الى عصبية<sup>(٤)</sup> » . وفسّر رسول الله العصبية بأنها « أن يعين المرءُ قومه على الظلم » .

وعلى الجملة فقد أمر الإسلام بالابتعاد عن كل ما يوهن المحبة بين أفراد المجتمع الاسلامي ، ودعا الى مكارم الأخلاق التي تضمن المحبة وتقويتها .

وقد سمى الرسول أولئك الذين يبتعدون عن مكارم الأخلاق : « المفلسون » . قال رسول الله : أتدرون ما المفلس؟ قالوا : المفلس فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة

(٣) رواه الشيخان

(٤) رواه أبو داود

(١) سورة الحجرات ، الآية ١١

(٢) رواه مسلم

وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ...<sup>(١)</sup>

وقد حثَّ الإسلامُ على نصر المؤمنين دائماً وعدم خذلانه «ما من أمرىءٌ يخذل امرءاً في موضعٍ تُنتهك فيه حرمة ، ويُنتَقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطنٍ تجب فيه نصرته»<sup>(٢)</sup>.

وفي سبيل بقاء هذه المحبة في المجتمع أوصى الله دائماً بكظم الغيظ ، وبالغفو عن ظهرت منه بادرة تسيء الى أخيه . قال الله تعالى : «جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله . إنه لا يحب الظالمين»<sup>(٣)</sup> . وقال : «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»<sup>(٤)</sup> . وقال : «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>(٥)</sup> . وخاطب الله رسوله فقال : «فَأَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ»<sup>(٦)</sup> . وقال : «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»<sup>(٧)</sup> . وجاء في الحديث : «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا يَشْرَفُ الْبَنِيَانُ وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : تَحْلُمَ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ ، وَتَعْفُوَ عَنِ ظَلْمِكَ ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ»<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه مسلم والترمذي .

(٢) أخرجه أبو داود

(٣) سورة الشورى ، الآية ٤٠

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٣٧

(٥) سورة النور ، الآية ٢٢

(٦) سورة الحجر ، الآية ٨٥

(٧) سورة فصلت ، الآية ٣٤

(٨) رواه الشيخان

## ١٣ - التَّعَاوُنُ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ

وفي هذا المجتمع المؤمن يسود التعاون بين المسلمين «وتعاونوا على البرِّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»<sup>(١)</sup>. فالتعاون هنا في الأمور الإيجابية التي تؤدي الى خير الفرد وخير الجماعة. وقال الرسول: «الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»<sup>(٢)</sup>. وقال: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَن مَسْلَمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِّنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup>. وكان الرسول يقول: «بَلِّغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا»<sup>(٤)</sup>.

ذلك لأن مصالح الفرد ليست منفصلة عن مصلحة المجتمع الاسلامي، فهو يُعنى بالفرد، والفرد يُعنى بمصالح المجتمع أيضاً.

(٣) رواه الشيخان

(٤) ورد في السيامة الشرعية ص ٢١

(١) سورة المائدة، الآية ٢

(٢) رواه الشيخان

## ١٤ - الرُّوحُ وَالْمَادَّةُ يَسِيلانَ مَعاً فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ

وفي هذا المجتمع يأخذ كل مسلم بما يريد من الحياة الروحية والحياة المادية . فهو لا يقدرُ المادَّةَ وحدها ، على حساب حريته ، ولا يقدرُ الروحَ على حساب رغبته . فقد أمر الله أن يتمتع الفرد المسلم بالحياتين معاً . ووقَّر السُّبُلَ في المجتمع الإسلامي لهما . « وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا »<sup>(١)</sup> . « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ »<sup>(٢)</sup> . « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم »<sup>(٣)</sup> .

وقال النبي : إنَّ لربِّك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كلَّ ذي حقَّ حقه ...

وعندما قال أحد الصحابة : أنا أصلي الليل أبداً ، وقال آخرٌ : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال ثالث : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، قال الرسول : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا . لكني أصلي ، وأنام ، وأصوم ، وأفطر ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني »<sup>(٤)</sup> .

وقال عمر بن الخطاب : ليس خيركم من عمل للأخرة وترك الدنيا ، أو عمل للدنيا وترك الأخرة ، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه<sup>(٥)</sup> .

(٤) رواه البخاري ، واللفظ لمسلم .

(٥) عمر بن الخطاب ، للطهاري ص ٤٧٣

(١) سورة الاعراف ، الآية ٣١

(٢) سورة الاعراف الآية ٣٢

(٣) سورة المائدة

جعل الإسلام العلم واجباً على كل مسلم ومسلمة . قال الرسول :  
 « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »<sup>(١)</sup> وهذا يعني أن العلم إجباري .  
 وقد رَغِبَ الرَّسُولُ فِي الْعِلْمِ تَرْغِيْبًا شَدِيدًا فَقَالَ : « اَعْدُدْ عَالِمًا أَوْ  
 مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا »<sup>(٢)</sup> وَقَالَ : « فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ  
 الْعِبَادَةِ »<sup>(٣)</sup> . أَي أَنَّهُ فَضَّلَ الْعِلْمَ عَلَى الْعِبَادَةِ ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهَا مَنْفَعَةٌ  
 خَاصَّةٌ ، أَمَّا الْعِلْمُ فَفِيهِ نَفْعٌ لِلْمَجْتَمَعِ . بَلْ إِنَّهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَّلَ  
 الْعِلْمَ عَلَى مَا زَادَ عَلَى فُرُوضِ الصَّلَاةِ . فَقَالَ : « لِأَنَّ تَعْدُو فَتَعَلَّمْ  
 أَبَا مِنْ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ »<sup>(٤)</sup> .

وكذلك رَغِبَ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَمَنْعِهِ مِنْ كِتَابَتِهِ . فَقَالَ الرَّسُولُ :  
 « مَنْ سُئِلَ عَنِ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ »<sup>(٥)</sup> .

وجعل الإسلام طلب العلم للعلم ، لا لأمر آخر . قال الرسول :  
 « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيُيَازِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ  
 لِيَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَهُوَ فِي النَّارِ »<sup>(٦)</sup> .

(٤) رواه ابن ماجه ، والطبراني في الأوسط

(٥) رواه أحمد ، وابو داود ، والترمذي

(٦) رواه ابن ماجه

(١) رواه ابن ماجه ، وابن عبد البر

(٢) رواه البيهقي

(٣) رواه الطبراني في الأوسط

ومن العلم تعلّم اللغات غير العربيّة ، للإفادة مما كُتِبَ فيها ،  
أو للأمن من شرّ أصحابها ، وتبادل المصالح معهم . وقد أمر  
الرسولُ زيدَ بن ثابت أن يتعلّم لغة اليهود ، لأنه ما كان يأمن  
منهم .<sup>(١)</sup>

وجعل الإسلامُ ثوابَ العلم ونشره يلحق بالتعلّم بعد موته . ففي  
الحديث « إنّ ما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علّمه  
ونشره . »<sup>(٢)</sup>

ولا غرّو أن نجد هذا الحثّ على العلم ، وقد جعل القرآن  
العلماء أعلى درجة من الجهّال ، قال الله تعالى « قُلْ هَلْ يُسْتَوِي  
الذين يَعْلَمُونَ والذين لا يعلمون »<sup>(٣)</sup> وقال سبحانه : « يرفعُ اللهُ الذين  
آمَنُوا منكم والذين أتوا العلمَ درجاتٍ »<sup>(٤)</sup>

فغايةُ هذا العلم الذي فرضَ على المسلمين ، جعلُ المجتمع  
الإسلاميُّ « عالماً ، مثقفاً » لأنه من وسائل التوحيد الروحي بينهم .  
فاذا استاروا في كلِّ شيءٍ « بعلم » ، وكانوا بكلِّ شيءٍ « على علم » ،  
تقدّم المجتمع الإسلامي ونجا من الشرور والأخطار ، واستطاع أن  
يحيا ، اذ لا حياة بلا علم .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٩  
(٤) سورة المجادلة ، الآية ١١

(١) رواه الترمذي بسند صحيح  
(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي

وهذا المجتمع يعتني بصحة أفرادهِ . لأن المرض إذا أنتشر بينهم أنهمكهم وأضعفهم . فأمرَ الإسلامُ قبل كل شيء بالوقاية من الأمراض قال الرسولُ: « إذا سمعتمُ به - أي بالوباء أو الطاعون - بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأتم بها فلا تخرجوا فراراً منه »<sup>(١)</sup> ، لئلا تنتقل العدوى الى سائر افراد المجتمع . وقال: « فِرٌّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد »<sup>(٢)</sup> . وجاء الى الرسول مرة وفدُّ من ثقيف ، وفيه رجلٌ مجذومٌ لبياعه . فأرسل اليه النبيُّ : إنا قد بايعناك فارجعُ »<sup>(٣)</sup>

وأمر الإسلام بالتداوي . جاء الى الرسول الأعرابُ يوماً وسألوه: أتتداوى؟ قال: تداووا، فإنَّ الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً »<sup>(٤)</sup> .

وفي قواعد الدين والسنة أوامر كثيرة تدعو الى حفظ الصحة : كالتشديد على النظافة ، والوضوء ، والغسل ، والسواك ، وتطهير

(٣) رواه مسلم  
(٤) رواه أحمد ، وأصحاب السنن بسند

صحيح

(١) رواه البخاري ومسلم  
(٢) رواه البخاري

الثياب ، وعدم إلقاء الأوساخ في طُرُق المسلمين ، وعدم البصاق ، وعدم الإفراط في الأكل ، أو ادخال الطعام على الطعام ، وعدم الأكل قبل الجوع ، وعدم الامتلاء ، واللجوء الى الحمية ، لأن المعدة بيت الداء والحمية رأسُ الدواء ، وعدم أكل المآكل الخبيثة كلحم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير .. وعدم شرب الأشربة المضرّة بالجسم والعقل كالخمر .. أو المخدّرات ، وبصورة عامة كل ما يضرّ فأكله وشربه حرام .

وفي قواعد الدين والسُّنة ايضاً الدعوة الى الرياضة، لأنها تقوّي الجسم، والمؤمنُ القويُّ أحبُّ الى الله من المؤمن الضعيف ، في جسمه . ومن أنواع الرياضة الصلاة ، والسباحة ، والرماية ، وركوب الخيل ، والمصارعة ...

## ١٧ — اتفاق الكأمة والطاعة أساس المجتمع الإسلامي

إن المجتمع الإسلاميّ منظمٌ ، فلا توجدُ فيه فوضى . ومن التنظيم أن يكون للمسلمين حاكم يرعى أمورهم . « إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم »<sup>(١)</sup> .

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وهذا التنظيم يوجب عليهم أمرين :

الأول : أن يطيعوا الله ، والرسول ، وأولي الأمر منهم<sup>(١)</sup> . فالحاكم الذي يُبايعه المسلمون لضمان حقوقهم ، ومراقبتهم في واجباتهم ، له عليهم حق «السمع والطاعة في العُسْرِ واليُسْرِ ، والمنشَطِ والمكروه» . وهذا يعني مؤازرة الحاكم في كل شيء . ما دام متقيداً بالشرع ، أو ما دام متصفاً بشروط الإمامة . فإذا خرج عن الشرع أو فقد شروط الإمامة ، فلا طاعة له . كما أنه إذا ولي الأمر رجلٌ ليس أهلاً له ، فالخراب ينتظر المجتمع .

والثاني : أن أمورهم تجري بالشورى . « وأمرٌهم شورى بينهم »<sup>(٢)</sup> . وهذه الشورى تمنع التعسف وطغيان الفرد على الجماعة . فإذا اتفقوا على شيء فليس لأحدٍ منهم أن يخرج عما اتفقوا عليه . لأن وحدة المجتمع الإسلامي لا يجوز هتكها . قال رسولُ الله : « ليس أحدٌ يُفارق الجماعة شبراً فيموتُ إلاّ مات ميتةً جاهلية »<sup>(٣)</sup> وقال : « مَنْ فارق الجماعة شبراً فقد خَلَعَ الإسلامَ من عنقه »<sup>(٤)</sup> . بل دعا الرسولُ الى القضاء بسرعة على من خالف الجماعة ليفرّق بينها . « أيّما رجلٍ خرج يفرّقُ بين أمّتي فاضربوا عنقه »<sup>(٥)</sup> .

فاذا وقع خلاف بين المسلمين ، فيجب على المجتمع الإسلامي

(٤) رواه أحمد ، ابو داود

(٥) رواه النسائي

(١) سورة النساء ، في الآية ٥٩

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٨

(٣) رواه مسلم

أن يتسارع الى الإصلاح وأن يُردَّ الخلافُ الى ما قاله الله ورسوله .  
 وذلك حفظاً على وحدة المجتمع المؤمن: « وإن طائفتان من المؤمنين  
 اقتتلوا فأصلحوا بينهما »<sup>(١)</sup> ، وقال الله تعالى : « فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا  
 ذَاتَ بَيْنِكُمْ »<sup>(٢)</sup> . وحتى في الخلافات التي تجري بين الأفراد المؤمنين  
 يجب المبادرة الى إزالتها . وقد جعل القرآن من البرِّ والتقوى  
 الإصلاح بين الناس .<sup>(٣)</sup>

## ١٨ — النِّقْدُ الذَّاتِي فِي سَبِيلِ بَقَاءِ هَذَا الْمُجْتَمَعِ

وأخيراً، ففي سبيل بقاء هذا المجتمع المسلم نظيفاً طاهراً ، جعل  
 الله الدعوةَ الى الخير والنهي عن المنكر من واجبات كل مسلم ومسلمة ،  
 فقد يجهل أحدُ المؤمنين ما يجب عليه ، أو يزلُّ فيخطيء ، فيجد من  
 أخيه المؤمن النصح والإرشاد . قال الله : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ  
 إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمفلِحُونَ »<sup>(٤)</sup> . وقال : « الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ :  
 يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ »<sup>(٥)</sup> . ويجري هذا كله بالنصيحة .  
 قال رسول الله : « الدينُ النصيحةُ ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال :

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤

(٥) سورة التوبة ، الآية ٧١

(١) سورة الحجرات ، الآية ٩

(٢) سورة الأنفال ، الآية ١

(٣) سورة البقرة ، في الآية ٢٢٤

الله ، ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup> .

ولقد كان من أعمال الرسول التي أرسلها الله من أجلها : الأمرُ بالمعروف بين الناس : « الذين يتَّبِعون الرسول النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات ، ويحرِّم عليهم الخبائث ، ويضعُ عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »<sup>(٢)</sup> .

والمعروف ، كما حدَّده ابن الأثير في « النهاية »<sup>(٣)</sup> : اسم جامعٌ لكل ما عُرف من طاعة الله ، والإحسان الى الناس . وكلُّ ما ندبَ اليه الشرع ونهى عنه . وهو أيضاً النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس ، والمنكر ضد ذلك جميعه .

وجاء في المصباح المنير : « المعروف هو الخير والرفق والإحسان » . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم ومسلمة . كلُّ على قدر طاقته . ويفعل المسلم هذا بيده ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه .

وقد حذّر الإسلام المسلمين من السكوت على المنكر ، لأنه يُفسد المجتمع الإسلامي . قال رسول الله : « إنَّ الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ منه »<sup>(٤)</sup> .

(٣) النهاية ٣ / ٢١٦

(٤) رواه أحمد

(١) رواه الشيخان

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٥٧

ان المجتمع الإسلامي يطرأ عليه تبديل من حين الى حين ، وتحدث له مُشكلات جديدة ما عرفها السلف . فلا بُدَّ أن يجد لها المجتمع ، على ضوء مبادئ الإسلام ، حُلولا ، ليبقى المجتمع الإسلامي هائناً ، ولا يجد المؤمنون عُسراً ولا مشقة ، ولا حرجاً ، فيما استُحدثَ في مجتمعاتهم من تطوّر حضاري ومادي . لذلك جاء في الحديث : « أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد للأمة دينها »<sup>(١)</sup> أي يدلها على أحكام ما استُحدثَ في المجتمع ، ويصلح ما أهملَ من الدين نفسه ، وما أضيف عليه مما هو ليس منه .

وهذا التجديد ضروري لحياة المجتمع المؤمن ، وضروري لحياة الدين نفسه ، لأن التجديد سنة الحياة . وكان المجتهدون موجودين في كل عصر من العصور السابقة ، ليواجهوا الأمور الاضطرارية . قال تعالى : ( وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه )<sup>(٢)</sup> . سأل رسول الله معاذ بن جبل حين ولاءه على اليمن : بم تقضي ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي . فأقره الرسول على ذلك . وكتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى في هذا الشأن : « أَلْفَهَمَ

(١) رواه أبو دارد عن أبي هريرة

(٢) سورة الانعام ، الآية ١١٩

فَمَا تَلَجَّجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ،  
ثُمَّ أَعْرَفَ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، فَقَسَرَ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنِظَائِرِهَا ،  
وَأَعْمَدَ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ وَأَشْبَهَهَا بِالْحَقِّ « (١) .

وهذا الاجتهاد للتجديد واجب ، لأن الدين جاء لرعاية مصالح  
الناس ، وتوجيههم ، وتحسين أحوال معاشهم . والأمور المستحدثة  
دائمة ، فلا بُدَّ من الاجتهاد ، على أن يُراعى فيه العدلُ والمصلحة .

وهذا الأمر هو الذي دفع ابن قيم الجوزية الى القول : « يجب  
أن تنتهي من قول العلماء الذين يقولون : هذا لا يوافق الشرع ،  
وهذا لم يقل به الرسول . وأن نتبع سياسة المصلحة ، أي ما يوافق  
الناس ويكون فيه صلاحهم » (٢) .

وقال ابن عقيل الحنبلي في « الفنون » : السياسة ما كان فعلاً يكون  
معه الناس أقرب الى الصلاح ، وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه  
الرسولُ ولا نزل به وحي « (٣) . كلُّ هذا ليبقى الاسلام نظاماً متكاملًا  
للحياة الانسانية المتطورة .

---

(١) جمهرة رسائل العرب ١ - ٢٥٥

(٢) ابن قيم الجوزية، الطرق الحكيمة ص ١٤

(٣) المصدر السابق ص ١٥

## ٢٠ — الأموال مصونة في المجتمع الإسلامي عند الأغنياء والفقراء

كما أنّ الدماء والأعراض مُصانة في المجتمع الإسلامي ، فكذلك الأموال .

فلا يجوز أكل أموال الناس بالباطل . قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل )<sup>(١)</sup> .

ولا تجوز السرقة ، ومن يسرق لا يكون مؤمناً . قال الرسول : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »<sup>(٢)</sup> . ومن سرق عوقب : « السارقُ والسارقةُ فأقطعوا أيديها جزاءً بما كسبا »<sup>(٣)</sup> . وشدة العقوبة هنا لضمان أموال الناس .

ولا يحق لأيّ حاكم أن يغتصب أموال الناس ، ولا أن يُصادرهما . دون رضاهم وطيب أنفسهم . إلا في حالات معينة روعي فيها مصلحة المجتمع ، على أن يُدفع الثمن كاملاً .

والمبدأ العام في الإسلام أن لا ينظر المسلم قط الى مال المسلم ، لضمان دوام المحبة بين أفراد المجتمع . قال رسول الله : « إزهدُ فيما في أيدي الناس يحبك الناس »<sup>(٤)</sup> .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٣٨  
(٤) رواه ابن ماجه ، والطبراني

(١) سورة النساء ، الآية ٢٩  
(٢) رواه الشيخان

ومن باب المحافظة على أموال الناس ، وخاصة الفقراء ، حرم الإسلام الربا الذي كان أيام الجاهلية ، لأن الربا ابتزازٌ لأموال الفقراء . وتركيزٌ للثروة في أيدي الأغنياء . قال الله تعالى : « وأحلَّ الله البيعَ وحرمَّ الربا »<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : « يحقُّ الله الرِّبَا ويربِّي الصدقات »<sup>(٢)</sup> وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً ، وأتقوا الله »<sup>(٣)</sup> .

وقد أبان القرآن أن الربا لن يعود على المرابي بالخير « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله »<sup>(٤)</sup> .

وأبان الرسول أن الربا شرٌّ المكاسب .

كل ذلك لأن الربا تنمية للمال في المجتمع ، بدون جهد ، وفيه عمل لا انساني هو ابتزاز مال الفقير والمحتاج من غير تعبٍ ، ولا عوض ، ولأن الاعتماد عليه في الكسب يمنع العمل . وكل ذلك يقوّض المجتمع الإسلاميّ .

وإذا كان الاسلام منع التعرّض لأموال أفراد المجتمع الاسلاميّ ، فقد أمر أيضاً أن يحافظَ المسلم على ماله نفسه ، فلا يبذّر ولا يُسرف .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٠

(٤) سورة الروم ، الآية ٣٩

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٦

قال الله تعالى : « ولا تسرفوا ، إنه لا يحبُّ المسرفين »<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى :  
« ولا تُبذِرْ تَبذيراً »<sup>(٢)</sup> .

وكذلك حرّم الإسلامُ المُيسر ، لأن فيه ضياعاً للأموال ، وجعله القرآنُ رُجساً من عمل الشيطان<sup>(٣)</sup> ، لأن الذي يربح لا يربح بجهدِهِ ، والذي يخسر لا يخسر بجهدِهِ ، فلا الكسب فيه مشروع ، ولا الخسارة فيه عادلة . وإنما الذي يؤثر فيه المصادفة والحظ . فضلاً عما ينتج عنه للخاسر من أحوال نفسية تؤثر في صحة جسمه وعقله .

## ٢١ - الثروة في المجتمع الإسلامي لفائدة الجميع

كان لا بُدَّ ، وقد عُني الإسلامُ - بعدالته - بالتضامن الروحي بين المسلمين وتحقيقه ، من أن يُعنى بالتضامن الماديّ بينهم ، اتماماً للعدالة ، ومراعاة للطبيعة الإنسانية ، لأنه إذا كان في المجتمع الإسلامي مَنْ هو ضعيف يحتاج الى قوّة ، أو ضالّ يحتاج الى نصيحة ، أو جاهل يحتاج الى معرفة ، فإن فيه فقراء ومساكين لا يجدون الطعام ، أو منقطعين بانسين لا يجدون المأوى ، أو شيوخاً ومُقعدين ليس لهم مُعين ، أو مرضى ليس عندهم الدواء . والعدلُ يقضي أن توجّه العناية

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٤١ ، وسورة

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٢٦

(٣) سورة المائدة ، الآية ٩٠

الأعراف الآية ٣١

اليهم ، فيجدون جميعاً الطعام والكساء والمأوى والعلاج والعون .  
فماذا شرع الإسلام ؟

لقد استنكر الإسلام أن يكون في مجتمعه فقراء مُدَقِّعين ،  
وأغنياء مُترَفِّين ، وأن يكونَ الفقراءُ بلا مال ، ويكونَ المالُ  
متداولاً بين الأغنياء . فأمر أن يقدم كلُّ مُسلمٍ من ماله قدرًا معلومًا  
لِيُنْفَقَ على الفقراء وذوي الحاجات ، وعلى أمور أخرى تفيد المجتمع  
الإسلامي كله . ففرض على المسلمين ضرائب على رأس المال الذي  
يدخره الانسان ، كالذهب والفضة والأنعام ، وضرائب على الدخل  
الآتي من البضاعات أو الزروع والثار . وأهم هذه الضرائب هي  
الزكاة ، وهي أمر مفروض . ثم الصدقات والمبرّات والخيرات ، وهو  
أمر تطوعي ، لكنه لكثرة ما رغب القرآن والرسول فيه أصبح  
فرضاً .

وكلا الأمرين آتٍ عن أن الفقراء والمساكين لهم حقٌ معلوم في  
أموال الأغنياء والموسرين المسلمين : « إنَّ الانسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إذا  
مَسَّهُ الشرُّ جَزوعاً ، وإذا مَسَّهُ الخيرَ مَنوعاً ، إلَّا المصلين ، الذين هم  
على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حقٌ معلومٌ للسائل المحروم »<sup>(١)</sup>

أما الزكاةُ فهي ، كما قلنا ، فرضٌ إجباري . يؤدِّيها المسلم الى  
الخليفة أو السلطان أو الحاكم ، ليوزَّعها على مستحقِّها ، أو يدفعها

(١) سورة المعارج ، الآية ٢٣

هو بنفسه . وقد سماها القرآن « زكاة » و « صدقة » ، وجعلها من دعائم الاسلام الخمس : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها »<sup>(١)</sup> ، وقرنها دائماً بالصلاة وأمر بها : « فاقموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً »<sup>(٢)</sup> ورغب بها : « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »<sup>(٣)</sup> . وحذر وخوف من إهمالها رغبة في نفع المجتمع بها : « خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرّعها سبعون ذراعاً فأسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين »<sup>(٤)</sup> .

وجعل الزكاة مدعاة للرحمة : « ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون »<sup>(٥)</sup> . وقد فرضت الزكاة من الرجال والنساء ، الكبار والصغار البالغين ، من لديهم المال الذي تجب الزكاة عليه .

وتؤخذ هذه الزكاة منهم أبوا وكرهوا أم رضوا . فإن مانعوا أجبروا من أدائها . وفي الحديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ... »<sup>(٦)</sup> وقد حارب أبو بكر المرتدين لأنهم أبوا

(٤) سورة الحاقة ، الآيات ٣٠ - ٣٤

(٥) سورة الاعراف ، الآية ١٥٦

(٦) رواه الشيخان

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٣

(٢) سورة الممتل ، الآية ٢٠

(٣) سورة الحديد ، الآية ٧

أداءها ، وقال : الزكاة حق المال <sup>(١)</sup> . وهذا العنف في إلحاح الإسلام على دفع الزكاة مردّه الى الحرص الشديد على إقامة العدالة ، وانتظام المجتمع الإسلامي ، لأن عدم أدائها يسبّب خللاً فيه ، ويدفع به الى الخراب .

ونصّ الفقهاءُ على أن الزكاة تبقى دَيْناً على مَنْ تأخّر في دفعها، لأنها حقٌّ لمن خُصّصت لهم .

أما الذين تنفق عليهم أموالُ الزكاة فقد حدّدهم القرآن الكريم: « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ . فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ . وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » <sup>(٢)</sup> .

فَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ ؟

الفقير ، على قول ابن حزم ، هو الذي لا شيء له أصلاً . والمسكين هو الذي له شيء ، لكن لا يكفيهِ <sup>(٣)</sup> .

وقال قتادة : الفقراء هم الذين بهم زمانةٌ - أي مرضٌ مُزمنٌ - . والمساكينُ هم المحتاجون الأصحاء <sup>(٤)</sup> .

والعاملون عليها : أي الذين يجبونها ويجمعونها من تجبُ عليهم . فهم عمالٌ يستحقون الأجر على عملهم .

(٣) معجم فقه ابن حزم ٧٩٦ .  
(٤) ابن قتيبة ، غريب القرآن ١٨٩

(١) رواه الشيخان ، جامع الأصول ٨/٢  
(٢) سورة التوبة ، الآية ٦٠

والمؤلفة قلوبهم : هم الذين كانوا في أول الإسلام ضعفاء الايمان ،  
أو الذين يُستألون لتقوية الاسلام . والأغلب أن الهدف من إعطائهم  
أمر سياسي .

وفي الرقاب : أي تُصرف أموالُ الزكاة لتحرير العبيد الأرقاء ،  
وفك رقاب الأسرى المسلمين من الأسر .

والغارمون : الذين عليهم دينٌ لا يستطيعون قضاءه . فيُعطون  
المال ليفقوا ديونهم .

وفي سبيل الله : أي يُنفق المال على الغزاة الذين ينشرون الإسلام ،  
أو الذين يُدافعون عن الإسلام ، ويدخل في هذا الباب كل ما يقوي  
المسلمين من شراء الخيل والعتاد والسلاح ، وما يعود عليهم بالخير من  
المصالح العامة .

وابن السبيل : المنتقطع ، المجتاز من بلد الى آخر ، الذي  
أعوزه المال .

فهؤلاء الذين يُدفع لهم من أموال الزكاة ، وكلهم ممن يحتاجون الى  
النفقة في المجتمع الإسلامي .

وقد حثَّ الإسلام على الزكاة بطرق شتى لما فيها من فائدة للمجتمع  
فجعلها تركية وتطهيراً للفرد ، وجعلها قرصاً لله يضاعفه الله ، وحذر

من كنز المال « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتيَ أحدكم الموتُ »<sup>(١)</sup>  
وأخبر أن الشُّحَّ مضرٌ: « ومن يوقَّ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون »<sup>(٢)</sup>  
إلى غير ذلك . فأبي دين أو نظام حثَّ على رفاهية المجتمع كإسلام؟

وتؤخذ هذه الزكاة على ما مضى عليه سنةٌ عند المسلم من الذهب  
والفضة المكتنزتين ، إذا زاد ذلك على عشرين ديناراً ، أو مائتا درهم  
فضة فإذا كان ذلك أقل من عشرين أو مائتي درهم فليس عليها شيء .

وقد أوضح ذلك الإمامُ علي في حديث له . قال : إذا كانت لك  
مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم ( زكاة ) وليس عليك  
( أي في الذهب ) حتى يكون لك عشرون ديناراً . فإذا كان لك عشرون  
ديناراً وحال عليها الحول ففيها نصف دينار<sup>(٣)</sup> .

وتؤخذ أيضاً على عروض التجارة ، والقمح ، والشعير ، والتمر ،  
والإبل ، والبقر ، والغنم . حسب مقادير محددة .

وليس تحديد الذهب والفضة معناه أن من يملك ذهباً أو فضة  
فقط مجبرٌ على دفع الزكاة ، بل أن كل من يملك أي نوع من النقد  
المتعارف عليه ، والمتداول بين الناس ، فيحول عليه الحول ، ويكون  
مقداره يُعادل قيمة المُتبي درهم أو العشرين ديناراً ، فعليه أن  
يدفع الزكاة .

(٣) رواه أبو داود

(١) سورة المنافقون ، الآية ١٠

(٢) سورة الحشر ، الآية ٥٩

ولا تُصْرَفُ أموالُ الزكاةِ إلاّ من الجهات التي خصّصها القرآن .  
ولا تُخلطُ بأموالٍ أخرى يدفعها المسلمون أو أهل الجزية ، للخليفة  
والحاكم .

وكانت الزكاة تُدفع للرسول ثم إلى الخلفاء ليوزّعوها . فلما  
كثرت وفاضت أنشأ أبو بكر أولاً ثم عمر بن الخطّاب ، بيتَ المال  
لتودع فيه ويجري توزيعها ، حتى كانت أيام عثمان ، فترك الناس  
يدفعون زكّاتهم .

وقد نص الفقهاءُ على أن الحاكم إذا امتنع عن دفع الأرزاق  
للفقراء من بيت المال ، فللفقيه المستحق أن يلجأ إلى القضاء ليجبره  
على الانفاق .

وثمة زكاةٌ أخرى فرضها الله ، يوزّعها الإنسانُ على المحتاجين  
هي زكاةُ الفِطْرِ . تُنْفَقُ في آخر شهر رمضان قبل عيد الفطر .  
فتكون تطهيراً لصيام الصائمين ، وِعَوناً للفقراء والمساكين ، تُدخل  
في نفوسهم البهجة بالعيد ، ولا يشعرون بالحاجة والفاقة .

وتوسّعوا في معنى الزكاة فنقلوه من الأمور المادية إلى المعنوية .  
فجعلوا على كل نعمة أنعمها الله على الإنسان زكاة . فزكاة القوة :  
المدافعةُ عن الضعيف المظلوم ، وزكاة الجاه : أن تبذل جاهك  
لتساعد مَنْ لا جاهَ له .

## الصدقة والبرّ والخيرات والحسنات

وهذا نوع آخر مما يدفعه الأغنياء من أموالهم للفقراء ، طوعاً لا إجباراً ، ولكن أصبح كأنه فرض لكثرة ما رغب الرسول فيه ، وحثّ عليه ، كما جاء القرآن يدعو اليه ويحبّب فيه : « الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، سِرّاً وَعَلاَنيَةً ، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »<sup>(١)</sup> ، « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ »<sup>(٢)</sup> .

« قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنيَةً »<sup>(٣)</sup> ، « لِيُنْفِقُوا ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ »<sup>(٤)</sup> .

وقد جعل الاسلامُ الصدقاتِ ، كَقَّارَةً لِلذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي . قال رسولُ الله . « الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْمُعْصِيَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ »<sup>(٥)</sup> . « الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْبَلَاءَ »<sup>(٦)</sup> . « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ »<sup>(٧)</sup> ، وقال الله تعالى « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ »<sup>(٨)</sup> وعن أنس عن رسول الله : « إنَّ للحسنة نوراً في القلب ، وزَيناً في الوجه ، وقوّة في العمل » .

(٥) رواه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه

(٦) رواه الطبراني ، والبيهقي

(٧) رواه الشيخان وأحمد

(٨) سورة هود ، الآية ١١٤

(١) سورة البقرة ٢ / ٢٧٤

(٢) سورة البقرة ٢ / ٢٦١

(٣) سورة ابراهيم ١٤ / ٣١

(٤) سورة الطلاق ٦٥ / ٧

وحتى إنَّ رسولَ الله سَمَّاهَا « غَسَّالَةَ ذُنُوبِ النَّاسِ »<sup>(١)</sup> أي أنها تغسل  
ذنوبهم وتمحوها .

ولا بُدَّ أن تكون هذه الصدقاتُ من مال طيِّبٍ حلال . قال  
رسول الله : « لا يكسبُ عبدٌ مالاً حراماً ، فيتصدَّق به فيُقبَل  
منه .... إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيءَ  
بالحسن . إن الخبيث لا يمحو الخبيث »<sup>(٢)</sup> .

وتُنْفَق هذه الصدقات والمبررات على :

١ - ذوي القُرْبَى المحتاجين « وآتِ ذِي الْقُرْبَى حَقَّهُ »<sup>(٣)</sup> . وقد  
حثَّ الاسلام على صِلَةِ الرَّحِمِ أي الأقرباء ، والبَرِّ بهم . في الحديث  
« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْسُطَ اللَّهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنَسِّأَ فِي أَجَلِهِ ، فَلْيَصِلْ  
رَحِمَهُ »<sup>(٤)</sup> . وفي الحديث أيضاً « لا يدخل الجنة قاطعٌ رَحِمٍ »<sup>(٥)</sup> .  
وفيه : « الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرَحِمِ ثنتان :  
صدقة وصِلَةٌ »<sup>(٦)</sup> . وصلة الرحم تكون بالموَدَّة لغير المحتاج .  
وبالنفقة للمحتاج . وإذا امتنع القريبُ من الإنفاقِ على قريبه  
ألزمه القاضي بذلك .

(٤) رواه البخاري ومسلم

(٥) رواه البخاري ومسلم

(٦) رواه أحمد

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد

(٣) سورة الاسراء ١٧ / ٢٦

٢- الجار : « والجار ذي القربى ، والجار الجنب »<sup>(١)</sup> . وقد  
 حثّ الإسلام على المحافظة على الجار وإكرامه وبرّه . في الحديث :  
 « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره »<sup>(٢)</sup> . وقال  
 رسولُ الله : « ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه  
 سيورثه »<sup>(٣)</sup> . وقال : « ما آمن بي مَنْ بات شعبان وجاره  
 جائعٌ إلى جنبه وهو لا يعلم »<sup>(٤)</sup> .

٣- الفقراء والمساكين وأبناء السبيل . وقد مرّ تعريفهم . قال  
 الله تعالى : « وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَلَا  
 تَبْذُرْ تَبْذِيرًا »<sup>(٥)</sup> .

٤- ثم على ما فيه خيرٌ للمسلمين بصورة عامة .

وعلى هذا فيدخل في وجوه الإنفاق من الصدقات والمبرات  
 والخيرات والحسنات إطعامُ الفقراء والمساكين ، واكساؤهم ،  
 ومعالجة المرضى ، والإنفاق على العاجزين ، وبناء المدارس ، وتعليم  
 الناس ، وبناء المشافي ، ومساعدة المعوزين ، مهما كان نوع عوزهم .  
 فيكون في ذلك كله محاربة للجوع ، والفقر ، والمرض ، والجهل .  
 وقد نصَّ ابن حزم على صدقات أخرى جعلها فرضاً . فعلى

(٤) رواه الشيخان

(١) سورة النساء ، الآية ٣٦

(٥) سورة الاسراء ، الآية ٢٦

(٢) رواه الشيخان

(٣) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٢/٢٧٣

التجّار فرض أن يتصدّقوا خلال بيعهم وشرائهم ، وعلى كلّ مَنْ يملك إبلا أو بقراً أو غنماً أن يحلبها يوم ورودها الماء ويتصدّق من لبنها ، وفرضُ على كلِّ صاحب زرع عند حصاده أن يُعطي منه مَنْ حَضَرَ من المساكين، كل منهم ما طابت به نفسه . وكذلك فرضُ على الأغنياء أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك، فإنّ لم تكف أموال الزكاة ، يصرّفونها من فضول أموالهم<sup>(١)</sup> .

وعلى الجملة فقد أعطى الاسلام للفقراء ما لم يُعطه أي دين آخر ، واهتم بهم اهتماماً بالغاً ، لم يهتم به أي نظام اقتصادي عُرف . محاولاً بذلك رفع الفقر عنهم ، لئلا يفسد المجتمع الاسلامي بوجود لبنات حاقدة محرومة فيه ، فالفقر يدفع الى الكفر . ولذا نجده يُدخل الفقراء بكل شيء : في الحديث « شرُّ الطعامِ الوليمة يُدعى لها الأغنياءُ ويُتركُ الفقراءُ »<sup>(٢)</sup> . وفيه : « أفضلُ الصدقة أن تُشبع كبدًا جائعًا »<sup>(٣)</sup> . وقال الرسولُ : « مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةَ لَبَنٍ أَوْ وَرَقٍ ، أَوْ أَهْدَى زَقَاقًا كَانَ لَهُ مِثْلُ عَتَقِ رَقَبَةٍ »<sup>(٤)</sup> . ومنيحة اللبن هي الناقةُ أو الشاةُ تُعطىها غيرك ليحلبها ثم يردّها اليك . ومنيحة الورق هي دراهم الفضة تُقرضها غيرك ممن لا حاجة ، وهداية الزقاق هي أن تدلّ غيرك على

(٣) رواه البيهقي  
(٤) رواه أحمد والترمذي

(١) معجم فقه ابن حزم ، ص ٧٩٣  
(٢) رواه الشيخان، زاد المسلم ١ / ٢٢٠

الطريق ليسلكه . ويُقاس على هذا أمور كثيرة يفعلها المؤمن من أعمال البر والمعونة .

وكان الرسولُ في أحاديثه الكثيرة يفضل الفقير على الغني . ليخفف من شأن الغنى في المجتمع ، وليجعل الشأن للعمل النافع ، وللإيمان . قال الرسول يوماً لأبي ذرٍّ : أترى كثرةَ المال هو الغنى ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : فترى قلةَ المال هو الفقر ؟ قال : نعم يا رسول الله . فقال الرسول : إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب . وفي حديث آخر : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن ، الغنى غنى النفس »<sup>(١)</sup> .

وكان الرسول يحارب مظاهر الغنى حتى لا تؤذي نفوسَ الفقراء . ففي الحديث : « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الحرير والديباج »<sup>(٢)</sup> . وفي حديث آخر : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »<sup>(٣)</sup> . وكان يأمر الفقراء أن لا ينظروا الى مَنْ فوقهم ، ولكن الى الذين دونهم ، كيلا يعمل الحقد في نفوسهم : « إذا نظر أحدكم الى مَنْ فضل عليه في المال والحلق فلينظر الى من هو أسفل منه »<sup>(٤)</sup> .

وقد أمر الاسلام بإخفاء هذه الصدقات التطوعية وعدم إظهارها

(٣) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٣ / ٢٧٦

(٤) رواه البخاري

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٢ / ١٨٨

أو المنّ بها ابتغاء الشهرة والظهور، وإلا بطل ثوابها « يا أيها الذين آمنوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى »<sup>(١)</sup> وعدّ رسول الله فيمن يظلمهم الله في ظلّه يوم القيامة : « رجلٌ تُصدّقُ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفقُ يمينه »<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى « إن تُبَدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وإن تُخْفَوْهَا وتُوْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ »<sup>(٣)</sup> .

والى جانب هذه الصدقات المادية صدقات معنوية يقومُ بها الانسان المسلم إذا لم يجد ما يُنفق . قال رسول : « على كل مُسلم صدقةٌ ، فإن لم يجد فيعملُ بيده ، فينفعُ نفسه وَيَتصدَّقُ ، فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف ، فإن لم يفعل فيأمرُ بالخير ، فإن لم يفعلُ فَيُمسِكُ عن الشرِّ ، فإنّه له صدقةٌ »<sup>(٤)</sup> .

وَيُلحَقُ بِالْفُقَرَاءِ الْإِيْتَامَ . فإذا مات رجلٌ وخلفَ عيالاً ، ولم يورثهم شيئاً فبيتُ المال أو الحاكم يدفع لهم رزقهم ويعولهم : جاء في الحديث : « مَنْ تركَ مالاً فلورثته ، ومن تركَ كلاًّ فلإيِّ وعليّ »<sup>(٥)</sup> وقال : « الساعي على الأرملة اليتيم كالمجاهد سبيل الله »<sup>(٦)</sup> . وقد حثّ الرسول

(٤) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٢٤١/١

(٥) رواه الشيخان

(٦) رواه الشيخان والترمذي

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤

(٢) رواه الشيخان ، زاد المسلم ٢١٣/١

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧١

على إكرام اليتيم : « خيرٌ بيوت المسلمين بيت يُكرم فيه يتيم، وشر بيوت المسلمين بيت يقهر فيه يتيم . » هذا ، وقد منع الله من أكل أموال اليتامى ، وأمر بأدائها إليهم كاملة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

كلّ ما مرّ بك ، سواء من فرض الزكاة ، أو من الحثّ على الصدقات ، يهدف الى إقامة تضامن ماديّ بين افراد المجتمع الإسلامي ، والى إيجاد « توازن اجتماعي » يقرب بين افراد المجتمع ، الأغنياء والفقراء ، في مستوى المعيشة ، رغم اختلاف مستوى الدخل . مستوى المعيشة يجد فيه كل فرد ما يكفيه ويرضيه .

والى جعل المال متداولاً بين الناس جميعاً ، فلا يكون متركزاً في أيدي فئة قليلة ، فيكون التناقض الشاسع بين الطبقات الاجتماعية . وبذلك حلّ الإسلام أمر توزيع الثروة على جميع أفراد المجتمع الإسلامي بشكل يضمن لكل منهم حاجاته .

وبذلك تطهر قلوب الأغنياء من الشحّ والبخل والاحتكار ، وتصفو قلوب الفقراء من الحقد والضعينة والشكوى ، وتكون المحبة مرفرفة بين أفراد المجتمع الإسلامي .

وإذا لم تكف أموال الزكاة والصدقات وموارد بيت المال للقيام بضمان سدّ حاجات الرعاية الأساسية ، فإن الحاكم له أن يفرض ضرائب يأخذها من فضول مال الأغنياء لسدّ تلك الحاجات .

---

(١) - سورة النساء ، في الآية ١٠

وعلى هذا فان الإسلام ضمن : بتشريعاته الاقتصادية هذه ، تلبية حاجات الفرد الأساسية وهي : المأكل والملبس والمسكن ، والدواء ، على الأقل ، بشكل لائق .

## ٢٢ - المجتمع الإسلامي يُحاربُ البخلَ والشُّحَّ

حارب الإسلامُ البُخلَ والشُّحَّ ، لكي يضمن دفعَ الموسرين والأغنياء صدقاتهم ، وفضولَ أموالهم ، للفقراء والمعوذين ، أو لما يعود على المجتمع الإسلامي بالخير . قال رسول الله : « لا يدخل الجنة خبٌّ - أي خدّاع - ولا منانٌ - أي الذي يمنُّ على من أعطاه - ، ولا بخيل - أي المانع الصدقة ، والمانع فضله عن المضطر إليه »<sup>(١)</sup> .

وقال الرسولُ : « إياكم والشُّحَّ ، فانه أهلك مَنْ كان قبلكم . أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا »<sup>(٢)</sup> .

وهذا الحديث من روائع كلام رسول الله ، لأنه يبيِّن أثر الشُّحِّ في المجتمع ، وما يفعله في نفوس الناس من بخل يؤدي الى ظلم وقطيعة فهلاك .

(٢) رواه الترمذي والبيهقي والطبراني

(١) رواه الترمذي

وقد رَغِبَ الرسولُ عليه السلام في السخاءِ : « السخيُّ قَريبٌ من الله ... والبخيلُ بعيدٌ من الله ... ولجَاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من عابدٍ بخيلٍ ... »<sup>(١)</sup>.

## ٢٣ - المجتمع الإسلامي يُشجِّع العملَ ويَحمي العُمَّالَ

على أن الإسلام لم يقف هذا الموقف وحده من معالجة الفقر في المجتمع الإسلامي ، - وهو موقف إنساني نبيل - لكنه رأى أن الأحسن للفقير أن يعمل ليكسب المال الطيب بنفسه ، ولا يحتاج لمن يتصدق عليه .

لهذا نرى الرسولُ يعمد إلى ثلاثة أمور :

الأوّل : جعل السؤّالَ أمراً مكروهاً ، لا يليق برجل قادر على العمل أن يفعله . قال الرسول : « لو تعلمونَ ما في المسألة ، ما مَسَى أحدٌ إلى أحدٍ يسأله شيئاً »<sup>(٢)</sup> ، وخطب مرةً فقال: أيها الناس! قد آنَ لكم أن تَسْتَعْنُوا عن المسألة ، فإِنَّه من يستعفَّ يعقّه الله ، ومن يستعنَّ يُغنه الله .<sup>(٣)</sup>

الثاني : الحثُّ على العمل باعتبارهِ وسيلة الكسب ومصدراً

(٣) البداية والنهاية ٩ / ٤

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه النسائي .

للانتاج . قال الرسول : «والذي نفسي بيده ، لأن يأخذَ أحدكم حَبْلَهُ فيحتطب على ظهره خيراً له من أن يأتيَ رجلاً يسأله ، أعطاه أو منعه .»<sup>(١)</sup>

وقال : « ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً من عمل يده »<sup>(٢)</sup>

وكذلك كرمَّ العامل وشجَّعه . جاء رجل مكدودٌ الى الرسول يوماً ، فرفع الرسول يده وقبلها وقال: «طلبُ الحلال فريضةٌ على كلِّ مسلم ومسلمة . ومن أكل من كدَّ يده مرَّةً على الصراط كالبرق الخاطف ، ومن أكل من كدَّ يده حلالاً فُتِح له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء »<sup>(٣)</sup> .

وكان رسولُ الله يسأل عن الشخص إذا أعجبه مظهره ، فإن قيل له ليست له حِرْفَةٌ ولا عمل سَقَطٌ من عينه .

فهذا دليل على أن الرسول كان يهدف الى القضاء على الفقر بالعمل . وعلى اعتبار العمل مصدر الانتاج ، لا رأس المال .

الثالث : كان يحث الرسول على الاتقان في العمل . قال : « إن الله يحبُّ من العامل اذا عمل أن يُحسن »<sup>(٤)</sup> ، وفي رواية الطبراني « أن يتقن » .

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه البيهقي

(١) رواه الشيخان والترمذي .

(٢) رواه البخاري

الرابع : وأن يكون العمل نافعاً . فقال رسول الله : خير العمل ما نفع<sup>(١)</sup> .

وكيلاً يتَّخذُ بعضُ الناسِ السؤالَ حرفةً ، مع عدم حاجتهم الى المال ، أو قدرتهم على العمل ، حدَّدَ الرسولُ الذين يحقُّ لهم السؤالُ ، ريثما تصلح أحوالهم . قال رسولُ الله مُخاطباً قبيصةَ بنَ مُخارق : يا قبيصةُ ، إن المسألة لا تحلُّ إلاَّ لأحدِ ثلاثةٍ : رجلٌ تحمَلُ حمالةً ( أي ما يتحمّله الإنسانُ عن غيره من ديةٍ قتييلٍ أو غرامةٍ ليُصلحَ بين متخاصمين ) فحلَّتْ له المسألةُ ، حتى يصيبها ثم يُمسك . ورجلٌ أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله ( أي آفةٌ اهلكت ماله ) فحلَّتْ له المسألةُ ، حتى يُصيب قواماً أو سداداً من عيش . فما سواهُنَّ يا قبيصةُ سُحاتٌ يأكلها صاحبها سُحتاً<sup>(٢)</sup> .

ففي الحالات الثلاث ، جُعِلت المسألةُ لمدةٍ معيَّنة ، وشرَطَ للتأكد من الفاقةِ شهادةُ ثلاثةٍ من أهل العقل .

ثم حرَّم الصدقةَ على كلِّ مَنْ عنده مالٌ ، أو من كان قادراً على العمل . فقال الرسولُ : « لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ ، ولا لذي مرَّةٍ (قوةٍ) سوى<sup>(٣)</sup> » ، فالذي عنده القوةُ يستطيع أن يعمل ليكسب المال .

(٣) رواه الترمذي

(١) رواه الطبراني عن زيد بن خالد

(٢) رواه مسلم وابو داود والترمذي

وفي سبيل حفظ المجتمع الإسلامي تُجعل للحاكم أن يفرض ، في بعض أنواع العمل التي لا تتم مصلحة الناس إلاّ بها ، على القادرين عليها أن يقوموا بها ، إذا كان المجتمع بحاجة إليها .

ولم يغفل الإسلام العناية بالعامل والأجير . فقد قرّر الفقهاء على أن على الحاكم إيجاد العمل لمن يستطيع أن يعمل . وللعامل أن يعمل عمله باتقان ، ويصون المال الذي أوّتمن عليه ، ولصاحب العمل أن يؤدي له أجره كاملاً « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه »<sup>(١)</sup> . فلا عمل بلا أجر في الإسلام ، والسُّخْرَةُ ممنوعة محرّمة . ويكون أجره حسب مهارته وإتقانه العمل ، أي حسب منفعة صاحب العمل منه « ولا تبخسوا الناس أشياءهم »<sup>(٢)</sup> . وله أن يطعم من صاحب العمل ، وأن يأخذ منه مسكناً وكسوة ودواءً ، إذا كانت العُرف متبعاً . وكذلك رأى الفقهاء ، من حوادث وقعت في عهد الرسول ، أن له حقاً في التعويض العائلي ، لأسرته ، فقد كان رسول الله يُعطي الأهل نصيبين ، ويُعطي العزب نصيباً واحداً . وفرض عمر لمن يولد من الأطفال فريضة في بيت مال المسلمين تُعين الأهل على كسوة الطفل والإنفاق عليه ، وقرّر الفقهاء أن لا مانع يمنع العامل أيضاً أن يُشاطر صاحب العمل في الربح ، بنسبة يتفق عليها . وأنه يمكن إعفاؤه من الضرائب لضعفه ، وإذا لم يكفه أجره لسدّ نفقاته فبيت المال يسدّ عوزه . وإذا مرض العامل أو عجز عن العمل أو شاخ فبيت المال يُقدّم

(٢) سورة الأعراف : الآية ٨٥

(١) رواه ابن ماجه باسناد جيد

له ما يحتاج إليه . وعلى الجملة فقد رعى الإسلامُ العاملَ ، وحماه ،  
وجهد أن يضمن له العيش الهني<sup>(١)</sup> .

## ٢٤ — الغش الماديّ ممّنوع في هذا المجتمع

ولحماية الأموال ، عند الفقراء والأغنياء على السواء ، فقد منع  
الإسلام الغش الماديّ كما منع الغش المعنوي . فكلاهما ضارٌّ للمجتمع  
المؤمن . وكان الرسول يقول : « من غشَّنَا فليس مِنَّا » . وكان منعُ  
الغشِّ من أعمال الرسول والخلفاء من بعده ، ثم سُمِّي ذلك « الحسبة » .  
والحسبة تدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولها جانبان :  
جانب يتعلّق بالأموال الروحية وحقوق الله ، وآخر بالأموال المادية  
وحقوق أفراد المجتمع . ثم أصبح هذا العملُ مناطاً بالمحتسب . فهو  
الذي يُراقب منع الغشِّ والتدليس في البيوع والتجارات والمآكل  
والمشارب والصناعات ، ولشدة خوفهم من الغشِّ أُلِّفت كتب كثيرة  
تبيّن ما يمكن أن يلجأ إليه أصحاب التجارات والصناعات من ضروب  
الغشِّ . وكذلك يُراقب المحتسب الأسعار لئلا يتلاعب بها التجار ،  
ويُراقب المكييل والموازين ، وكل ما قد يؤدي به الغش الى الخسارة  
المادية لأفراد المجتمع<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر تفصيل كل ذلك في كتاب: أحكام العمل وحقوق العمال في الإسلام، لمحمد فهرشقفة.  
وكتاب « مشكلة الفقر » ، ليوسف القرضاي ؛ وكتاب « العمل وحقوق العامل في الإسلام »  
لباقر شريف القرشي .

(٢) انظر كتاب الحسبة لابن تيمية ؛ ومعالم القربة في احكام الحسبة لابن الأخوة ؛ ونهاية  
الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزري .

إن المحك الوحيد في هذا المجتمع ، الذي يُظهر « المسلم الصحيح » هو المعاملة . فقد جعل رسول الله « الدين المعاملة » . فالمعاملة يُعرف المسلم المؤمن برّبه ، المحافظُ على قواعد الإسلام ، المتبع شروطه ، المتبعد عما نُهيَ عنه .

قال رجلٌ لعمر بن الخطاب : إن فلاناً رجل صدق . قال له : هل سافرتَ معه ؟ قال : لا . قال : فكأنت بينك وبينه خصومة ؟ قال : لا . قال : فهل ائتمنته على شيء ؟ قال : لا . قال : فأنت لا علم لكّ به .

ويشير عمر بن الخطاب فيما سأل الرجل عنه : الى المعاملة .

ومعيار المعاملة : الأمانة والاستقامة والحياء .

فمن كان أميناً في حقوق الله ، وحقوق النفس ، وحقوق أفرأ المجتمع ، كان مسلماً صحيحاً . وتكون الأمانة في كل شيء : في المال والأعراض ، والجوار ، والعلم ، والبيع ، والشراء ، والكيل ، والوزن ، والكلام ، والحديث ، وحتى في النظر والتفكير .

والاستقامة هي التي تضمن قيام الأمانة بما يجب عليها ، وتضمن تحقيقها .

أما الحياء فينبع من الايمان ، وهو الذي يمنع المؤمن من التجاوز على الحقوق والانطلاق في النزوات ، والحياء أُخْلِقَ الإسلام . قال رسول الله : « إن لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء »<sup>(١)</sup> . وَقَالَ رسول الله : « إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت »<sup>(٢)</sup> .

(٢) رواه البخاري وأحمد

(١) رواه مالك مرسلاً

## المَحَاتِمَة

ان الناظر في نظام الاسلام . على ما عرَضناه من خلال المجتمع المؤمن، يجد أن مبادئه لا توجد في أي دين سابق له ، على هذا الشكل الدقيق المتكامل . ولا توجد متكاملة معاً ايضاً في أي مذهب اقتصادي مُعاصر كالماركسية، العلمية - أي الشيوعية ، أو الاشتراكيات المختلفة، أو الرأسمالية .

فكل ما ذكرنا من الأديان أو التَّنْظِم إما أن يكون مؤثراً للمادة مهملاً للروح ، أو ناظراً الى الآخرة مهملاً الدنيا ، أو مؤثراً للفرد ومصالحه مُعرضاً عن الجماعة ، أو مؤثراً لفئة صغيرة من الجماعة ، مستغلاً الفرد . أو مُجانباً للعقل بإنكار وجود الله ، أو بعبادة ما لا ينفع ولا يضرّ ولا يخلق ، أو منصرفاً الى التآله المحض .

لكن الإسلام جاء متمماً للديانات ، ومستدركاً ما فيها من نقص . فأمر بعبادة الخالق وحده ، الذي ينطق كل شيء في الدنيا بوجوده ، ويشهد على قدرته ، ووضع العدل ميزاناً في كل شيء . وجعل الرفق والرحمة هادياً له ، وأعطى الانسان الحرية والارادة والتفكير ، وأعزّه وكرّمه ، ومنع عنه العبودية والاستغلال ، وجمع بين منفعة الفرد

ومنفعة المجتمع الذي يعيش فيه ، وجعله مسئولاً عن مجتمعه ، كما أن مجتمعه مسئولٌ عنه . ورسم قواعد لضمان التضامن الروحي والمادي في هذا المجتمع ، لترفف عليه السعادة التي يأملها كل انسان .

ولا أعتقد أن الانسان يتمنى شيئاً أحسن من هذا ، بل إن هذا إذا طُبِّقَ تماماً ، أعطاه منتهى ما يشتهي ويريد .

إن نظام الإسلام شمل كل شيء ، الدين والدنيا ، والسياسة والاقتصاد ، والتربية والاجتماع . ما أغفل شيئاً ، وكلما زاد المرء فهماً له ، وتطبيقاً لمبادئه ، زاد تمسكه به ، وانتفاعه به . وزادت قناعته بأن ليس مثله نظام يلجأ اليه الانسان ليزوق أكبر نصيب من السعادة . يكفي أنه أبعده الفرد عن الشرور كل الشرور من الحقد والثورة ، وإهراق الدماء ، والفتن ، والكذب ، والقذف ، والتشهير ، واغتصاب الأموال ، وهتك الأعراض ، والتجسس ودوس الحقوق يكفي انه أمر بالرحمة والرفق والبر والتعاون والمحبة والتعاقد ، والتساعد ، والصدق ، وعالج مشكلات الفقر والمرض والجهل والعبودية ، وقدم لها حلولاً ناجعة صالحة نافعة .

إن لدينا كل ما ينقذنا من الشرور والويلات التي حلت بنا منذ نسينا أو أهملنا نظام الإسلام . فاذا أردنا الحياة الكريمة الشريفة العزيزة فلا بد أن نعمل على إعادة تحقيق أفكار الإسلام وقيمه .



# الفهرس

صفحة

٥

المقدمة

تمهيد

الظلم في العصر الجاهلي - الظلم في البلاد المحيطة بالجزيرة -  
فساد انظمة الجاهلية ، والفرس ، والهنديين

١٢ - ١٠

المجتمع الاسلامي ودعائه :

الاسلام اصلاح اجتماعي وأخلاقي ، هدفه بناء مجتمع انساني جديد -

١ - هذا المجتمع يوحد الايمان بالله

المؤمنون والمؤمنات في المجتمع - الايمان بالله اول الدعائم الروحية -

١٤ - ١٣

الايمان لا يفرض بالقوة - الايمان يوجب العبادات .

٢ - هذا المجتمع قائم على العدل

حارب الاسلام الظلم - الاسلام دين العدل - الله هو العادل -  
دين الله هو العدل - الرسول جاء لينفذ العدل - العدل في المجتمع  
والأسرة - العدل لغير المسلمين .

٢٠ - ١٥

٢١

اليسر رافق العدل في الاسلام

٣ - اعضاء هذا المجتمع متساوون

الاسلام يحقق المساواة - معنى المساواة ومظاهرها -

٢٦ - ٢٢

٤ - اعضاء هذا المجتمع يتفاضلون بالتقوى

معنى التقوى : العمل الصالح للانسان والمجتمع

٣٠ - ٢٧

## ٥ - لا عبودية في المجتمع الاسلامي

لا عبودية في الاسلام بين الناس - الاسلام يحلّ مشكلة الرقيق -  
مظاهر الحرية في المجتمع الاسلامي : حرية التفكير ، حرية  
التمتّك ، حرية العمل ، حرية التنقل - هذه الحرية حق للمرأة  
ايضاً . - هذه الحرية مشوّلة

٣٧ - ٣٠

## ٦ - الاخوة تربط أعضاء المجتمع الاسلامي

الأخوة تحل محل العنصرية والجنسية - معنى الاخوة الاسلامية

٣٨ - ٣٧

## ٧ - المجتمع الاسلامي وجد ليحيا

دعوة الاسلام هي دعوة للحياة - معنى الدعوة الى الحياة

٣٩

## ٨ - المجتمع الاسلامي يحترم النفس الانسانية ويحميها

منع قتل النفس - منع قتل الآخرين - منع قتل الاولاد، حتى الجنين،  
منع قتل أهل الذمة - احترام النفس الانسانية لذاتها

٤١ - ٤٠

## ٩ - غاية المجتمع الاسلامي : السلام

الله هو السلام - شعار المسلمين : السلام عليكم - دعوة الاسلام  
الى السلام - ليس معنى السلام : الضعف - الدعوة الى الاستعداد  
والقوة لردّ العدوان - المسلمون لا يعتدون ، ولا يبدأون  
القتال - المسلم لا يحارب المسلم - كيف يكون الجهاد .

٤٤ - ٤١

## ١٠ - المؤمنون في هذا المجتمع أعزة

كل المؤمنون أعزاء - المسلم لا يكون ذليلاً ، ولا يذلّ أخاه  
المسلم - معنى العزة .

٤٥ - ٤٤

## ١١ - المجتمع الاسلامي يعتني بالاسرة

لا رهبانية في الاسلام - الزواج واجب - منع فوضى الجاهلية في  
الجنس - المرأة وسيلة للطمانينة والراحة ، لا للذة - كراهية الطلاق -  
الآباء يعدلون ويهتمون بأولادهم - الأولاد يبرّون الآباء - تحريم الزنا  
والبغاء صوتاً للمرأة - المحافظة على الأنساب - صلة الأرحام وذوي القربى

٤٨ - ٤٥

## ١٢ - المحبة تسود المجتمع .

المجتمع الإسلامي قائم على الحب الدائم - معنى هذا الحب وحدوده -  
هذا الحب يمنع : الظلم ، الاعتداء ، التجسّس ، الغيبة ، النميمة ،

سوء الظن ، البياغض ، التحاسد ، الأثرة والأناية ، الذبذبة والنفاق  
الكبر والاختيال ، السخرية ، التحقير ، الفس ، المصيبة، ويدعو الى  
مكارم الأخلاق

٤٨ - ٥٤

### ١٣ - التعاون شرط اساسي في المجتمع الاسلامي .

٥٦

معنى التعاون ، في أي شيء ، يكون -

### ١٤ - الروح والمادة تسيان معاً في هذا المجتمع .

٥٦

الإسلام يعنى بالحياة الروحية والحياة المادية معاً .

### ١٥ - المجتمع الاسلامي يمنع الجهل .

٥٧ - ٥٨

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - العالم خير وأفضل من الجاهل - العلم  
للعلم لا للباهة ولا للمهارة .. - ثواب العلم - غاية العلم

### ١٦ - حفظ الصحة واجب في هذا المجتمع .

٥٩ - ٦٠

المجتمع الاسلامي يهتم بصحة افراده - الوقاية - الدواء - التشديد على  
النظافة - الدعوة الى الرياضة

### ١٧ - اتفاق الكلمة والطاعة أساس المجتمع .

٦٠ - ٦٢

المجتمع الاسلامي منظم - وجوب اطاعة الحاكم - امور المسلمين تجري  
بالشورى - عدم الخروج على الحاكم الا اذا كان ظالماً أو غير مؤمن ..

### ١٨ - النقد الذاتي في سبيل بقاء المجتمع .

٦٢ - ٦٣

الدعوة الى الخير والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف - معنى المعروف  
لا يجوز السكوت على المنكر .

### ١٩ - المجتمع الاسلامي متجدد دائماً .

٦٤ - ٦٥

الإسلام يحلّ المشكلات التي تحدث - هذا التجديد ضروري لبقاء  
المجتمع . التجديد يكون بالاجتهاد ، مع مراعاة العدل والمصلحة ،  
مع المحافظة على أصول الدين .

### ٢٠ - الأموال مصونة في المجتمع الاسلامي .

٦٦ - ٦٨

لا يجوز أكل أموال الناس - لا يجوز للحاكم أن يفتصب ولا يصادر  
الأموال - تحريم الربا - تحريم الميسر - منع التبذير والامراف

## ٢١- الثروة في المجتمع الاسلامي لفائدة المجتمع .

ليس في المجتمع الاسلامي فرق شاسع بين الاغنياء والفقراء - ارض  
الزكاة على الأموال ليفيد الفقراء والمجتمع - معنى الزكاة - لمن  
تدفع الزكاة - مقدار الزكاة - زكاة الفطر - الصدقات والحسنات - لمن  
تنفق الصدقات - اهتمام الإسلام بالفقراء ، مكافحته الفقر ، تفضيل  
الفقراء على الاغنياء - محاربة مظاهر الغنى - اخفاء الصدقات - العناية  
بالبيتاني .

٨١ - ٦٩

٨٢

## ٢٢- المجتمع الاسلامي يحارب البخل والشح .

٨٧ - ٨٣

## ٢٣- المجتمع الاسلامي يشجع العمل ويحمي العمال :

منع السؤال - شروط السؤال - الحث على العمل ، شروط العمل -  
الاسلام يُمنى بالمعامل - حقوقه وواجباته

٨٧

## ٢٤- الغش المادي ممنوع في هذا المجتمع

٨٩ - ٨٨

## ٢٥- المحك في هذا المجتمع : المعاملة

٩٠

الخاتمة